مواسم الروح

رحلة عبر فصول الحياة

الطبعة الأولى
1446 هـ
2025 م

اسم الكتاب: مواسم الروح.. رحلة عبر فصول الحياة
المؤلف: سيد حامد
موضوع الكتاب: خواطر
عدد الصفحات: 152صفحة
عدد الملازم: 9.5 ملزمة
مقاس الكتاب: 14 x 20
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2024/3411
الترقيم الدولي: 978-977-6697-980

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر.

حكاوي للإنتاج الفني

hakayaproduction@gmail.com
01551751909 _ 01096476744

مواسم الروح

رحلة عبر فصول الحياة

تأليف

سيد حامد

كُنْ مَعَ الْفَجْرِ نَسْمَةً تُوسِعُ الْأَزْ هَارَ شَمًّا وَتَارَةً تَقْبِيلَا
لَا سَمُومًا مِنَ السَّوَافِي اللَّوَاتِي تَمْلَأُ الْأَرْضَ فِي الظَّلَامِ عَوِيلَا
وَمَعَ اللَّيْلِ كَوْكَبًا يُؤْنِسُ الْغَا بَاتِ وَالنَّهْرَ وَالرُّبَى وَالسُّهُولَا
لَا دُجًى يَكْرَهُ الْعَوَالِمَ وَالنَّا سَ فَيُلْقِي عَلَى الْجَمِيعِ سُدُولَا

مقدمة المقدمة

الحياة...

قالوا عنها إنها صعبة، شاقة...

قلنا لا جديد في قولكم،

فإننا نريد أن نحياها،

نحياها بكل ما فيها من كر وفر.. ونهار وليل.. انتصار وهزيمة.

وإذا حق لأحد أن يمقت شيئًا.. فليكُن اليأس.

فالمؤمن الحق لا يعرف قاموسه الروحي تلك الكلمة.. ما دام يؤمن بالله وحكمته وأقداره وتصريفه لأمور الكون!

القرآن يعلنها قوية: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:87].. قالها نبي الله يعقوب، يعقوب الذي فقد ابنه الحبيب إلى قلبه وهو بعد ما زال غلامًا، وتعاقبت عليه السنون وأمله في العثور عليه لا يتلاشى، موقنًا أن الله سينعم على عينيه اللتين أضناهما طول البكاء برؤية ابنه، مهما طالت الأيام واستطالت.

وتحقق الأمل والرجاء...

وقال يعقوب لأبنائه بعدما عثروا على يوسف: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:96].

فالمؤمنون الموصولة قلوبهم بالله، لا ييأسون من روح الله ولو أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق، لأن روحهم في ظلالٍ من إيمانهم بالله وحكمته، وفي سكينةٍ من ثقتهم بتقدير مولاهم، وقلوبهم تتعلق بظل عرش الرحمن، مستكينةً بأن للكون ربًّا لا يتخلى عن عباده المخلصين.

وقالها القرآن أيضًا في سورة الحجر: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحِجر:56].

وهذه المرة كانت على لسان الخليل إبراهيم عليه السلام.. بعدما بشَّرته الملائكة بغلام عليم، فتعجب نبي الله الذي يحمل فوق كتفيه سنوات من العمر تقترب به من المائة، وزوجه عجوز عقيم، ولأن الأمر فوق إدراك العقل البشري قال خليل الرحمن للملائكة: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر:54]، وجاء رد الملائكة حاسماً: ﴿بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ [الحِجر:55].

تلك هي حكمة الله التي قد تختفي عنا أحيانًا، تستتر خلف غيوم نظن فيها كل الشر، بعدما حجبت الشمس، وأثارت العواصف في حياتنا، وطاردت طيور السعادة.

لكن مَن يصبر على ما أصابه، ويتقبله بصدر رحب، أعثره الله على الكنز الخفي من وراء تدبيره، وكشف له الغيوم بعدما تركت وراءها أمطارًا تحيي الأرض الموات.. وتنبت أزهارًا ورياحين وأشجارًا وارفة.. وتعود العصافير إلى أعشاشها تغرد أسعد الألحان.. وأعذب مما كانت من قبل.

أو كما عبَّر الشاعر المبدع إيليا أبو ماضي:

وَتَوَقَّعْ إِذَا السَّمَاءُ اكْفَهَرَّتْ مَطَرًا فِي السُّهُولِ يُحْيِي السُّهُولَا
مَا أَتَيْنَا إِلَى الْحَيَاةِ لِنَشْقَى فَأَرِيحُوا أَهْلَ الْعُقُولِ، الْعُقُولَا

الروائي "صنع الله إبراهيم"، دخل المعتقل وهو بعد في مقتبل العشرينيات من عمره.. وظن بعضهم أن شمس مستقبله غربت في ظلامات السجن.

وأثبتت الأيام خلاف ما اعتقدوه، فاليوم يعتز بفترة اعتقاله، ويقول عنها إنها هي التي خلقت منه روائيًّا.. بعدما جرى قلمه وراء القضبان يكتب عن الحرية.. وتدفق نهر الإبداع وهو يحلم بالأرض الخضراء التي تسكن ضفاف النيل من وراء الصحراء.

وفي الصفحات القليلة التي بين أيديكم، محاولة لأنشر في سمائكم عطر التفاؤل، ونحاول مقاومة الغيوم التي تحجب أشعة الشمس.

موقنًا أن الحياة ليست دائماً على خط واحد، وإنما تتغير دوراتها ما بين صعود وهبوط وشروق وغروب.

لكن الجانب الذي لا تشرق عليه الشمس لا يعني بالضرورة سيطرة الشر، وبدء عصر الجليد في حياتنا، فالشمس قدرها المحتوم أن تغرب كل يوم.. ليحل ليل.. يخشاه بعضهم.. بينما يعده بعضهم الآخر فرصة القمر الزاهر.. والنجم الساطع.. والليل مهما طال فله فجرٌ يهزمه.

تلك هي الحياة.. لا بد أن تقبلها على كل الأوجه.. حلوها ومُرها.. وخيرها وشرها.

فهذا قدرنا.. أن ندب على الأرض..

تشاكسنا الدنيا ونشاكسها..

تنال منا وننال منها..

تنتصر علينا أحيانًا، ونغلبها مرات عديدة..

وحتى في انتصارها علينا نغيظها بابتسامتنا.

في مسرحية "عطيل" لشكسبير يقول أحد أبطالها: "إن الرجل الذي يسرقه لص فيبتسم ترفعًا، يسترد من السارق بعض غنيمته، أما مَن يحزن بلا طائل، فإنه يسرق نفسه مرة أخرى بعد أن سرقها اللص، لأنه يضيف إلى خسارته المادية خسارة معنوية جديدة لا تُقدَّر بثمن!".

فلنجعل حياتنا كلها أوقاتًا للسعادة، ولنخلق منها رحلة ممتعة نعيشها بروح المغامرين الذين لا يهابون المخاطر، ولا يرضون إلا بالقمة منزلًا وسكنًا.

والله من وراء القصد

سيد حامد

الإنسان الذي علَّم الإنسانية

اسمح لي يا سيدي بهذه الكلمات، أن أعبِّر فيها عن حبي وتقديري، صحيح أنها قد لا توفيك حقك، فجميع ما خطه البشر عنك يتساقط دون أن يبلغ القمة التي تقف عليها، ولكنها -سيدي- محاولة فاقبلها مني.

من يعرفك، ويقترب منك، يأسره ذلك النور الخارج من بين ثناياك. فأنت نور، وخالقك هو النور، والقرآن الذي تتلقاه نور، نور يهدي الحائرين والباحثين عن الكمال الإنساني.

يأتيك أعرابي وأنت توزع المال، فيمسك ملابسك، ويجذبك منها، فتترك أثرًا في صفحة عاتقك، ويقول لك في غلظة: "يا محمد.. أعطِني من هذا المال، فليس المال مالك أو مال أبيك".

وماذا يكون ردك على تلك القسوة؟ يهم صاحبك عمر رضي الله عنه أن يبطش بالأعرابي فتمنعه في هدوء.. وتبتسم في وجه الأعرابي وتجزل له العطاء.

سيدي.. كل ما سطره المؤرخون من مجلدات عن أبطال وعظماء العالم لا يحوي موقفًا مماثلاً لصنيعك مع الأعرابي!

كنت نبي آخر الزمان، وخاتم المرسلين، لكنك بين الناس بشر، تمشي في الأسواق، وتعمل بيدك، تأكل وتشرب، وتفرح وتحزن.

كُتب السيرة تقول إنك سيدي حينما دخلت المدينة، لم يستطِع بعض أهلها أن يميزك عن صاحبك أبي بكر.

وعندما سرت يومًا في مقابر المدينة، ووجدت امرأة تنوح على ابنها، قلت لها: "اصبري"، لم تعرفك وقالت: "إليك عني.. فإنك لم تُصَب بمصيبتي!".

لم تعرفك..

ولم تعرف أن الحزن زارك مرات عديدة، فاختطف الموت ابنيك الذكرين في مكة.. القاسم والطيب!

وفي المدينة ذوت زهرة رقية باكرًا، ومن بعدها طوى الموت صفحة أم كلثوم، ثم زينب.

وأخيرًا رزقك الله إبراهيم.

أسميته إبراهيم تيمنًا باسم جدك الأكبر نبي الله إبراهيم.

هل كنت تطمع في أن يخرج من نسله أمة كأمة خليل الرحمن؟!

ويكبر صغيرك، وينمو حُبه في قلبك، وتفرح به كما يفرح المسافر في صحراء بواحة بها زرع وماء في صيف قائظ شديد الحرارة!

وحينما تفرغ قليلاً من أعمالك وجهدك المضني في بناء أمة الإسلام، تسرع إلى بيت إبراهيم، تداعبه وتهش له.. تتصابى له.. تُخرِج له لسانك، فيرى حمرته فيبتسم الصغير.

ويكبر وينمو.. حتى يبلغ من العمر ستة عشر شهرًا.

ثم يختطفه الموت!

آه.. في هذه السن النضرة.. في السن التي تتفتح فيه الزهرة، وتستجيب لمداعبات النسيم، وغناء العصافير، وشعاع الشمس.

وتبكي.. تبكي على رحيل ابنك.

ولا تكاد تحملك قدماك.. فتتساند على أكتاف اثنين من أصحابك.. وتنظر إلى الجبل وتناديه: "يا جبل.. لو أن بك ما بي.. لهَّدك الحزن!".

ويتعجب أصحابك.. ويرون دموعك فتقول لهم: "**إنها رحمة الله وضعها في قلوب عباده**".

وتكسف الشمس يوم وفاة إبراهيم، ويتهامس الناس أنها حزنت على فراقه، فتخرج إليهم متحاملاً على أحزانك،

وتقولها قوية: "**الشمس والقمر من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد، ولا يحزنان لموت أحد**".

في بيتك، كنت نعم الزوج.. وهل ينسى التاريخ حبك لأمِّنا خديجة؟!

عندما فتح الله عليك مكة، يوم الانتصار الكبير على القرية التي تكبَّر وتجبَّر سادتها عليك، وأذوك ثلاثة عشر عامًا، وحاربوك بالسلاح ثمانية أعوام أخرى.

حينما دخلتها تذكرت منازل الطفولة، والشباب، والأيام التي قضيتها مع زوجك الحنون الطاهرة، شريفة قريش، أمنا خديجة ﵂ حيث تشد من أزرك وتساندك، فكنت كلما عدت إلى بيتكما حزينًا على ما تلاقيه من عنت وصلف وتكبُّر وإيذاء، فإذ هي تقويك، وتشجعك على تحمُّل أداء رسالة ربك.. موقنةً أن الله سينصرك.

هل كانت تلك الذكريات تتراءى أمام ناظريك وكأنها بالأمس حينما طُرق الباب، وتنبهت لوقع الطرقات وصوت القادم، يذكِّرك الصوت بتلك الأيام الجميلة.. فتبتسم فرحًا، وكأنك عدت إلى أيامك الأولى مع حبيبتك خديجة.. وتقول مسرورًا: "**اللهم هالة!**"، ترجو أن يكون الطارق هالة شقيقة رفيقة عمرك.

بعد كل تلك السنوات، ما زلت -يا سيدي- تعرف وقع طرقات هالة على الباب! تفسح لها في مجلسك.. وتتجاذب معها أطراف الحديث.. هي تذكِّرك بخديجة.. تتحدثان معًا عنها، وعن أيامكما الجميلة.

تغار زوجتك عائشة -التي أعلنت على الملأ أنها أحب الناس إلى قلبك- وتقول لك بغيرة النساء إن الله قد أبدلك خيرًا منها، فتغضب لقولها وتقسم: **" ما أبدلني الله خيرًا منها، لقد آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها وحرمني ولد غيرها"**.

وتلك الرقة يا سيدي، وهذا الحب الإنساني الذي يفيض أنهارًا، يهدر شجاعة وإقدامًا في ساحة الوغى والمعارك.

في "أحد"، وأنت في الثالثة والخمسين تقاتل وكأنك شاب يافع.. وفي حنين تجلت فيك كل شجاعة الفارس.. هرب جيش الإسلام تحت وقع المفاجأة التي أعدتها هوازن وثقيف، لكنك وقفت كالجبل، تنادي بأعلى صوتك: "أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب".. وحدك مع قليل من فرسان المسلمين أمام جيش ضخم.. حتى إن فارس الإسلام علي بن أبي طالب يقول إنه كان يحتمي بك إذا استعر القتال. لله درك يا رسول الله! أي رجل عظيم أنت!

مَـن يقابلـك تبتسـم في وجهـه، تبـدأ مَـن يقابلـك بالسـلام. ومَـن يضـع يـده في يـدك لا تنزعهـا حتـى يكـون هـو البـادئ. تعطـي كل حواسـك لمـن يتحـدث إليـك.

إذا سرت رفضـت أن تكـون في المقدمـة، وأصحابـك وراءك.. وعلمتنـا أن التبعـة، فتنـة للمتبـوع، وذلـة للتابـع.

سيدي...

المسـاحة المخصصـة تنبئنـي بـأني قـد جاوزتهـا.. ولم أزَل أحمـل كثـيرًا مـن حبـي وتعظيمـي، فأنـت يـا سـيدي قـدوتي، وبوصلتـي في الحيـاة الدنيـا، بـك يهتـدي الحائـرون، وعـلى هديـك تجـوب سـفننا بحـور الحيـاة، وعـلى دربـك نسـير، وعـلى خطـاك نقتفـي أثـرك.

وإذا كانـت لي دعـوة مسـتجابة عنـد ربي لكانـت أن ينعـم عـليَّ بشربـة مـن حوضـك لا أظمـأ بعدهـا أبـدًا، وأسـعد بصحبتـك.. فهـل أُحـشَر معـك يـا سـيدي وأنـت مـن قلـت: "المـرء يُحـشَر مـع مَن أحـب"؟!

وعذرًا سيدي إني لم أوفيك بعض حقك.

أضِف إلى رصيدك مزيدًا من المحبين

كان جيش الإسلام عائدًا من حنين.. متعبًا مرهقًا، بعدما كادت الدائرة تدور على المسلمين، ويتلقون هزيمة كبرى تُضيع النصر الذي حققوه منذ أيام قليلة في مكة المكرمة.

ها هو النبي على دابته يسير حامدًا ربه على نصره.

الزحام شديد.. فالجيش تعداده اثنا عشر ألف مقاتل.

ويقترب رجل يرتدي نعلًا غليظة بناقته من النبي ﷺ، ويقع حرف نعله على ساق النبي فتؤلمه، فيقرع الرجل بالسوط، قائلًا: "أوجعتني، فتأخر عني".

يبتعد الرجل حزينًا، فربما يكون هذا اللقاء العابر هو الأول الذي يجمعه مع محمد، فأي حظٍّ هذا الذي يجعلني أوذي رسول الله في ساقه بخشونة نعلي!

وفي الصباح حدث شيء عجيب...

أخذ الحبيب ﷺ يلتمس الرجل في الجيش الكبير، هو ليس من مشاهير المسلمين، حتى كتب السيرة لم تذكر اسمه.. ويشتد

ﷺ في طلبه حتى يعثر عليه أخيرًا، ويظن الرجل أن النبي يريد أن يعاقبه على ما كان منه في الأمس!

يجيء، وقلبه يرتجف بين أضلعه ترقبًا لما سيكون...

لكنه يجد الخير كل الخير..

لقد بات الحبيب ﷺ ليلته متشوقًا إلى طلوع شمس الصباح ليعتذر، نعم ليعتذر للرجل عما كان من قرعه بالسوط، على الرغم من أن الموقف كان عابرًا، وربما يمرُّ بأيٍّ منا دون أن نعيره اهتمامًا.

ويقول الحبيب ﷺ للرجل: "إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني، فقرعت قدمك بالسوط، فدعوتك لأعوِّضك عنها".

ويعطيه ثمانين نعجة تعويضًا عن هذه الضربة البسيطة.

أيُّ عظمة تلك التي يعلِّمنا إياها رسول الإسلام ﷺ؟!

قلِّبوا ما شئتم من صفحات التاريخ، ونقِّبوا في صحائف العظماء، فلن تقع أعينكم على موقف كهذا أبدًا.

هو لقاء عابر، يمرُّ بي وبك، لا يسرق من عمرنا إلا لحظات معدودات، ثم يأخذنا موكب الحياة الهادر، ويجرفنا تياره الزاخر بالأحداث والمشاغل التي لا تترك لنا فرصة لالتقاط الأنفاس، واسترجاع ما مرَّ بنا، ويختفي من ذاكرتنا مَن مروا في سماء يومنا كالشهب.

ومخطـئ مَـن يُهمـل تلـك اللحظـات القصـيرة واللقـاءات العابـرة.

فإنهـا يـا أخـي الحبيـب قـد تُكسـبك صديقًـا ينافـح عنـك أبـد الدهـر، يحتفـظ لـك بأحـلى مـكان في زوايـا قلبـه، أو تُكسـبك مخالفًـا يكافـح مـن أجـل نقـدك والتقليـل مـن شـأنك، ولـن تختفـي أبـدًا مـن ذاكرتـه تلـك اللحظـات التـي أسـأت إليـه فيهـا.

واعلـم أن قليـلاً مـن الاهتـمام بالآخريـن، سـيجازيك الله عليـه فـوق مـا تشـتهي وتتمنـى، فـما تزرعـه في صباحـك سـتجني خـيره في مسائك.

كاتبنـا الكبـير مصطفـى أمـين يُقبَـض عليـه منتصـف 5691 بتهمـة التخابـر مـع أمريـكا. وفي السـجن يبـدأ رحلـة العـذاب عـلى أيـدي ذئـاب متوحشـة ترتـدي ثيـاب البـشر، حرمـوه الطعـام والـشراب، وهـو المريـض بالسـكر، فيلجـأ إلى مـاء الاسـتنجاء، وعندمـا يعرفـون بذلـك يفرغـون إنـاءه، فيـشرب مـن مـاء البـول.. وفي اليـوم الثالـث لم يجـد بـولًا ليشربـه.

يقـول في كتابـه "سـنة أولى سـجن": "كنـت أسـير في زنزانتـي كالمجنـون.. الحـر في يوليـو مـؤلم.. لسـاني جـفَّ.. حلقـي جـفَّ.. أحيانًـا أمـدُّ لسـاني وألحـس الأرض لعـل الحـارس نـسي نقطـة مـاء وهـو يغسـل البـلاط".

وبينما هو يدور ويترنح، إذ بباب الزنزانة يُفتح في هدوء.. وتمتد يد حارس أسمر في الظلام تحمل كوبًا من الماء المثلَّج، ويشرب أحلى ماء في حياته.

ويخبره الحارس: "إنني أعرفك وأنت لا تعرفني.. منذ تسع سنوات أرسل فلاح خطابًا إليك يقول: "إن أمنية حياته أن يشتري بقرة، وأنفق من عمره 7 سنوات يقتصد في قوت أولاده ليشتريها، لكن بعدها بستة شهور ماتت".

ويهتم مصطفى أمين بخطاب الفلاح البسيط، وفي ليلة القدر يدقُّ باب البيت المتواضع، وتدخل محررة من "أخبار اليوم" تجر وراءها بقرة.

"هذا الفلاح الذي أرسلتم إليه البقرة منذ تسع سنوات هو أبي".

فتنبَّه يا صاحبي لعِظَم اللقاءات العابرة.. وتذكَّر قوله ﷺ: "إن الله يسأل عن صُحبة ساعة...".

فأي إجلال للصحبة هذا؟

إضاءة جانبية:

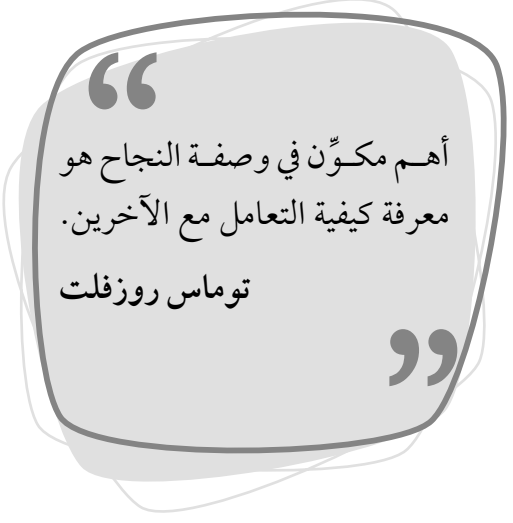

هل تعثرت؟ حاوِل وابدأ من جديد

استقلَّ أحد الحكماء سفينة، الموج الوديع لم يكن ينبئ بما يختفي وراءه من أخطار، فما لبثت الشمس أن اختفت خلف السحب الداكنة، وتلبدت الغيوم، وثارت الأمواج ترتفع كالجبال وتهبط كالوديان، تضرب بعنف جوانب السفينة، التي لم تستطِع المقاومة طويلاً، فخارت قواها، واستسلمت لمصيرها المحتوم لتستقر في قاع البحر.

قفز الرجل إلى البحر الثائر، مقاومًا الموج والتعب اللذين يشدانه إلى الموت، حتى وصل أخيرًا إلى الشاطئ، عاريًا من كل شيء؛ من ثروته التي اختارت أن تغوص مع حطام السفينة، ومن ملابسه.. لكنه وقف سعيدًا مبتهجًا، ولسانه يلهج بالشكر: "الحمد لله.. لقد نجوت بكل ثروتي!".

كان الحكيم صادقًا في مقولته، صحيح أنه فقَد أمواله، لكنه يعرف أنه لم يفقد العقل الذي يفكر، واليد التي تستطيع أن تضرب بالفأس في أرض العمل لتنبت شجرة، ثمارها النجاح، ومذاقها السعادة.

وحياتنا كرحلة الرجل الحكيم، قد تقابلها عقبات وأزمات تزلزل كياننا، وتهدم الصروح التي شقينا عمرًا في تشييدها.. لنجد أنفسنا في مفترق طرق، إما أن نستسلم لقدَرنا، وننـدب حظنا العاثر، ونذرف الدموع، ونصب اللعنات على الظروف.. وإما أن نشحذ همتنا، ونستنهض قوانا الداخلية لنبدأ من جديد.

والأمر ليس بالهيِّن، ولا يستطيعه إلا كل ذي همة عالية وإيمان حق، ذاك الذي يرى النور من وراء الغيوم، ويوقن أن الشمس ستشرق من جديد، وأنه ما دام للكون رب يرعى شؤون عباده، وبين الأضلع قلب ينبض، وفوق الكتف عقل يفكر، فإن المرء يستطيع أن يبدأ من جديد، ويبني بناءً أشد وأمتن مما تهدَّم وتبعثر.

فها هو الأمير عبد الرحمن بن معاوية (113 - 173هـ) يرى مُلك آبائه وأجداده وقد تداعى أمام ضربات العباسيين الذين حرصوا على قتل كل أمراء وأبناء أمراء بني أمية، خشية أن ينتفض أحدهم، ويحاول أن يسترد العرش.

لم يستسلم الأمير الأموي وهو ابن التاسعة عشرة، واتجه ببصره إلى أقصى ركن في دولته المتداعية، وعبر آلاف الأميال في مغامرة تاريخية مدهشة، نجا خلالها من عيون الجواسيس، وأخطار محدقة، وأعداء يطلبون موته كما يطلبون الحياة لأنفسهم.

وبدهائه وعبقريته نجح في تشيد دولة قوية في الأندلس، وصف الكاتب الأمريكي ويل ديورانت حضاراتها بأنها فخر لبني الإنسان.. ونافست الخلافة العباسية في القوة والثراء والتحضر، حتى إن أشد منافسيه أبا جعفر المنصور، يقول يومًا لأصحابه: "أتدرون مَن هو صقر قريش؟ فقالوا: هو أنت. فقال: لا.. بل هو عبد الرحمن بن معاوية، دخل الأندلس منفردًا بنفسه، مستصحبًا لعزمه، يعبر القفر ويركب البحر، وأقام ملكًا بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه".

الدنيا تحتاج إلى من يشاكسها ويعاندها، فهي لم تعطِنا عهدًا لكي تكون عند ما نريد كما يقول الدكتور طه حسين، وبكدِّنا واجتهادنا نستطيع أن نتخطى صعابها، ونبدأ من جديد.

وهذا إدوارد شيلدون "Edward Sheldon" (1886-1946) الكاتب المسرحي الذي لمع اسمه في أوائل القرن العشرين، بعد أن صفَّق له الملايين يُصاب بالشلل، ليجلس على كرسي متحرك.

ويشفق عليه أصدقاؤه، لكنهم يعجبون حينما يرونه يمضي ويكتب دون أن تفارق الابتسامة وجهه النحيل.

لكن القدر كان يخبئ له ما هو أشد، فقد بدأ يفقد نور عينيه ببطء، إلى أن جاء اليوم الذي فقَد فيه بصره تمامًا، وأصبح حطامًا لرجل لا يتحرك ولا يرى.

وينـزوي عنـه أصدقـاؤه.. وبعـد عـام فوجئـوا بمسرحيـة تُعرض عـلى مسـارح نيويـورك تحمـل اسـمه، ويسرعـون إلى بيتـه، ليجـدوا صديقهـم الكسـيح الضريـر لم يفقـد الأمـل في الحيـاة.

رأوه متدثِّـرًا بغطـاء ثقيـل، وقـد أخـذ يمـلي عـلى صديـق -رفَـض أن يتركـه في محنتـه- مسرحيـة جديـدة كان يسـجِّل فيهـا آخـر مشـهد من مشـاهدها.

قـال شـيلدون لأصدقائـه: "كنـت أتوقـع مجيئكـم قبـل ذلـك بكثـير.. مـا الـذي منعكـم مـن زيـارتي!"، قالهـا وقـد ارتسـمت عـلى شـفتيه شـبح ابتسـامة دقيقـة تنـمُّ عـما كان يعتمـل في صـدره مـن فرحـة بلقـاء هـؤلاء الأصدقـاء.

وسـكتوا، فقـد كانـوا يتوقعـون أن يـروا أي شيء إلا هـذا الـذي رأوه.. هـل يمكـن أن يعيـش إنسـان بهـذه الـروح العاليـة بعـد أن أصيـب بالعمـى وفقَـد القـدرة عـلى الحركـة؟!

كتبـت الكاتبـة المسرحيـة آن مـورو لندبـرج "Anne Morrow Lindbergh" (1906 – 2001)، تصـف أحاسيسـها عقـب كل زيـارة كانـت تقـوم بهـا للصديـق الأعمـى الكسـيح: "كنـا نـترك غرفتـه أكثـر انتعاشًـا، وأكثـر أمـلاً بالحيـاة، كنـا نشـعر بـأن هنـاك ألـف طريـق وطريـق يمكـن أن نسـلكها لكـي نصـل إلى مـا نصبـو ونبتغـي، وأن العمـر سـوف يمتـد بنـا طويـلاً لكـي نحقـق آمالنـا".

فكـن كالنهـر، تعـترض طريقـه الجنـادل والصخـور، فـيروغ ويـدور حتـى يفلـت مـن خناقهـا، ثم يمـضي في طريقـه مسرعًـا، وقد ارتسـمت عـلى صفحتـه ابتسـامة الانتصـار.. ويـا لـه مـن انتصـار!

إضاءة جانبية:

> هـل حاولـت؟ هـل فشـلت؟ لا يهـم، حاوِل مجددًا، وافشـل مجددًا، ولكـن افشـل بصـورة أفضـل
>
> **صمويل بيكيت**

اهزم خصمك بأخلاقك

ربما لا تخلو حياتنا من خصوم يكيدون لنا، يبذلون ما في وسعهم للنيل منا، لا يتورعون عن استخدام أية وسيلة للقضاء علينا.

وفي ذلك الصراع، نخطئ إذا انجرفنا إلى تيارهم، واستخدمنا أساليبهم نفسها، فليس فوزًا ذلك الذي يأتي بالغدر والخيانة وشراء الذمم والنفوس.

نستطيع أن نقهر أعداءنا وخصومنا بأخلاقنا، لنجعلهم يفكرون آلاف المرات قبل أن يقدموا على إيذائنا مرة أخرى. تقول: "إن خصومك يكيلون لك الضربات، ولا بد أن تردَّ عليها؟".

فاستمِع إلى كاتبنا المبدع عبد الوهاب مطاوع وهو يقول: "**أفضل وسيلة للانتقام ممن يسيئون إليك، هو ألا تكون مثلهم.. تجنَّب أن تسلك سلوكياتهم المريضة نفسها في حياتك، ترفَّع عن الرد عليهم ليزداد شعورهم بحقارتهم وتفاهة شأنهم وانحراف أخلاقياتهم**".

ونزيد على ذلك بأن عدم الرد بالمِثل على أعدائنا، والتزامنا بالحسنى واتباع الحق في سلوكنا، قد يجعلهم يعيدون وزن الأمور، وربما انضموا يومًا إلى صفنا.

في غـزوة ذات الرقـاع، ومـع وطـأة حـرارة الشـمس، تفـرَّق جيـش الإسـلام تحـت ظـلال الأشـجار كـي يسـتريح أبطالـه مـن هجـير الصحـراء، وبينـما النبـي نائـم، وقـد علَّـق سـيفه عـلى شـجرة، تسـلل أعـرابي وأخـذ السـيف، ووقـف عـلى رأسـه وقـد ارتسـمت عـلى وجهـه ابتسـامة المتيقـن مـن قتـل نبـي المسـلمين، قائـلاً في غـرور المحتمـي خلـف السـلاح: "أتخافنـي؟".

وارتـجَّ الأعـرابي، ولم يصـدق مـا وصـل إلى سـمعه مـن قـول النبـي: "لا".

وحـاول أن يلـم شـتات نفسـه التـي انهـارت فجـأة أمـام كلمـة النبـي، فحـاول أن يسـبر سر تلـك القـوة العجيبـة التـي يتكلـم بهـا رجـل أعـزل أمـام سـيف مسـلط، فقـال للنبـي: "فمـن يمنعـك منـي؟"، فلـم يـزِد النبـي عـن كلمـة واحـدة: "الله".

فسـقط السـيف مـن يـده، فأخـذه محمـد ﷺ وقـال للأعـرابي: "مَـن يمنعـك منـي؟"، وجـزع الرجـل مـن المـوت، فقـال مسـتعطفًا: "كـن خـير آخـذ".

ولا يصـدق الرجـل قدمـه وهـي تحملـه بعيـدًا عـن معسـكر جيـش الإسـلام، ناجيًـا بحياتـه بعـد أن عفـا عنـه النبـي!

ويهيم الأعرابي في أودية الأفكار، يقلب النظر فيما حدث، تأخذه الحيرة من سلوك وأخلاق ذلك الرجل الذي تكيل له الدعاية الوثنية الاتهامات، وتلصق به كل نقيصة، وها هو يعفو توًّا عن رجل حاول قتله!

ويدخل الأعرابي على قومه بوجه غير الذي تركهم عليه قائلًا: "جئتكم من عند خير الناس".

تحكي بعض كتب السيرة أن هذا الرجل أسلم، وأسلم معه قومه.

وقد يكون انتصارنا بالأخلاق، حتى ونحن في أشد لحظات الهزيمة والانكسار.. انظر إلى ما فعله المغول في العالم الإسلامي، كانت حروبهم نوعًا فريدًا في التاريخ، لم يأتوا طمعًا في الاحتلال والإقامة، وإنما جاؤوا ليقتلوا وينهبوا ويحملوا ما يسلبون إلى بلادهم، تاركين وراءهم مدنًا خاوية على عروشها.

وبعد جيلين اثنين، يقف المؤرخون مبهورين أمام حادث عجيب، فلم تمضِ من السنوات إلا القليل، حتى رقَّق الإسلام قلوب أولئك الهَمَج الخارجين من صحراء منغوليا، ويدخل المغول الفاتحون دين المسلمين المقهورين!

وكان أول الغيث إسلام أحد أحفاد الرجل الدموي جنكيز خان وابن عم هولاكو، بل إنه حارب بني جنسه من أجل الإسلام، ذلكم هو بركة خان.

وجاء إسلامه تتويجًا لجهود الدعاة المسلمين الذين انبثوا بين المغول ينشرون صورة صحيحة عن الإسلام وسماحته وعقيدته الصافية.

وإلى اليوم يتعجب مؤرخو الغرب من قوة ذلك الدين الذي يجتذب إليه أشد أعدائه، ويجعل المغول من أشد المدافعين عنه في قادم الأيام.

لقد هزم المغول المسلمين سنين عديدة، ولكنهم انهزموا أمام بساطة الإسلام وأخلاقه.

أتدرك يا صاحبي، لما نال القائد صلاح الدين يوسف بن أيوب (532 - 589هـ) كل تلك الشهرة في العالمين العربي والغربي؟! قد تقول لأنه انتصر في موقعة حطين، واستردَّ بيت المقدس، وحارب ملوك أوروبا الأشداء.

كل ما تقوله صحيح، لكن عفوه وصفحه عن أعدائه كان أشد وقعًا عليهم من ضربات السيوف، فقد أخذت أوروبا كلها ترتجف بعد انتصاره الحاسم في حطين، ترقبًا للمذبحة التي ستحلُّ بالصليبين في بيت المقدس انتقامًا لما فعلوه بالمسلمين.. ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث.. لقد سمح صلاح الدين لأهل المدينة بأن يغادروها بعد دفع فدية بسيطة للغاية! بل وأعتق مَن لم يقدر على دفع الفدية من فقراء الصليبين، وأطلق سراح

مَـن كان في أسْر المسـلمين مـن الأزواج والآبـاء، وأجـزل العطـاء مـن مالـه الخـاص للنسـاء والبنـات اللائـي قُتـل أزواجهـن وآباؤهـن.

لقـد أحـدث صـلاح الديـن بفعلـه ذلـك صدمـة نفسـية في العـالم الصليبي!

يقـول الكاتـب الأمريكـي ول ديورانـت (1885 - 1981) في موسـوعته قصـة الحضـارة: "كان شـفيقًا عـلى الضعفـاء، رحيـماً بالمغلوبـين، يسـمو عـلى أعدائـه في وفائـه بوعـده سـموًّا جعـل المؤرخـين المسـيحيين يعجبـون كيـف يخلـق الديـن الإسـلامي الخاطـئ -في ظنهـم- رجـلاً يصـل في العظمـة إلى هـذا الحـد؟!".

وحينـما يكتـب الشـاعر الإيطـالي دانتـي كتابـه "الكوميديـا الإلهيـة"، الـذي يصـف فيـه أهـل الجنـة والنـار، لا يسـتطيع إلا أن يجعـل صـلاح الديـن مـن أهـل الجنـة عـلى الرغـم مـن أنـه ينتمـي -في نظـره- إلى ديـن الكفـار!

لقـد كسـب صـلاح الديـن بأخلاقـه أضعـاف مـا حققـه بضربات السيوف.

فَسْـرِ يـا صديقـي في طريـق الحـق عـلى الـدوام، واسـمُ فـوق غدر الخصـوم والأعـداء، وكـن كالنسر يُحلِّـق دائـماً فوق السـحاب.

إضاءة جانبية:

إذا أصابتك مصيبة.. تفاءل وابتسِم!

أقبل الليل على السفينة وهي في عرض المحيط، فثارت الأمواج تأخذ بها إلى قمتها، ثم تقذفها دفعة واحدة إلى أسفل، حتى انهارت مقاومتها، لتهوي إلى الأعماق، ونجا من ركابها رجل، قذفه الموج إلى شاطئ جزيرة مجهولة!

أخذ الرجل يفكر فيما مرَّ به من أحداث، في الأقدار التي أخذته من أسرته وشركاته وأمواله، وألقته على ظهر تلك الجزيرة الموحشة.. وتساءل في حسرة: "ماذا قدَّمت في حياتي حتى أنال هذا العقاب الأليم؟ ولماذا أنا دون البشر أواجه هذا المصير المؤلم، وأعيش وحيدًا على جزيرة نائية لم تطأها قدم إنسان من قبل؟ ولماذا لم أعانق الموت وسط الأمواج، فأستريح من ذلك العذاب الذي يعتصرني كمدًا؟!".

ومرت شهور، والرجل يلتقط طعامه من غابة الجزيرة، ويشرب من جدول صغير، ويبيت ليلته في كوخ صغير بناه بالقرب من الشاطئ، يحتمي به من برد الليل وحر النهار.

وذات يوم، ضربت صاعقة كوخه البسيط، فالتهمته النار على الفور، فأخذ الرجل يصرخ: "لماذا يا رب؟ لماذا تعاقبني دائماً بقسوة؟ لماذا تنهال عليَّ المصائب متتابعة؟".

وبات الرجل حزينًا، وقد ألقى الحزن أستاره السوداء على قلبه، وفي الصباح كانت بانتظاره مفاجأة، إذ وجد سفينة تقترب من الجزيرة، فسألهم الرجل في دهشة: "كيف عرفتم مكاني وتلك الجزيرة جدباء لا تُغري السفن بالاقتراب منها"، فأجابوا: "لقد رأينا نيرانًا ودخانًا عاليًا، فعلمنا أن شخصًا يطلب المساعدة".

إننا معشر البشر نرى الأمور بأعيننا، ونثق بأحكامنا ومشاعرنا، ونظنها عين اليقين، وقد تكون عند البحث عين الخطأ. فحينما تتعثر أقدامنا، ويضيع ما كنا نتمناه، نندب حظنا، والقدر الذي يعاندنا، ونلوم السماء التي تريد أن تحرمنا السعادة، نفعل ذلك وقد لا ندري أن يكون فيما يصيبنا الخير كل الخير.

كاتبنا المبدع عبد الوهاب مطاوع (1940 - 2004) كان في البداية يتمنى أن يكون مؤلِّفًا مسرحيًّا عظيماً ينافس توفيق الحكيم، يكتب مسرحيات قادرة على انتزاع صيحات الإعجاب وآهات الجماهير.. وصوَّرت له أحلامه أن يخوض أول تجربة مسرحية، فكتب مسرحية ليقدِّمها فريق التمثيل بمدرسته

الثانوية.. وفي أثناء البروفات مرض مرضًا شديدًا ألزمه الفراش لمدة شهر كامل، وأضاع عليه فرصة مشاهدة مسرحيته الأولى.

ولاحظ أن أصدقاءه يتجنبون الحديث عن المسرحية، بينما هو في شوق للاستماع إلى آهات الإعجاب، وعبارات الاستحسان عن عبقريته المسرحية.. إلى أن أخبره صديق بأن البطل الذي اختاره ليمثِّل دور البطولة انتهز فرصة مرضه، فقدَّم المسرحية باسمه كمؤلف لها وليس فقط كبطل لأحداثها.

وتألَّم لهذه "الخيانة الثقافية"، وسرقة عمله المسرحي الأول: "والآن وبعد هذا السنوات الطويلة، فإنني أُدرك حكمة هذا الخير الذي خفي عني وقتها، وتألمت في حينه، إذ ربما لو كنتُ جرَّبت نشوة الإعجاب وتصفيق الجمهور بما كتبتُ وقتها لصدَّقت بالفعل أنني مؤلف مسرحي، ولأهدرت طاقتي وعمري في طريق لم تهيِّئني له العناية الإلهية، ولعانيت مرارة الفشل والإحباط حين أطرق بابًا لا يستجيب لطرقاتي".

والمؤمن الحق هو من يصبر على قدَر الله، ما دام ليس له فيه بدٌّ، ويعلم أن الخير قد يأتيه من حيث يراه الناس الشر، مثلما تختفي قطرات المطر خلف الغيوم والسحب الداكنة.

وأعظم دروس الاستسلام لحكمة الله نقرؤها في قصة نبي الله موسى مع العبد الصالح؛ تلك القصة التي ألقى القرآن عليها

أستارًا من الغموض، فلا ندري زمانها ولا مكان أحداثها، ولا نعرف شخصية العبد الصالح.

ربما كان هذا الغموض مردُّه إلى ما تحويه من أمور يقصر دونها علمنا البشري.

فنحن هنا مع موسى كليم الله، وأحد أولي العزم من الرسل، أنزل الله عليه التوراة دون واسطة، وكلَّمه الله تكليماً.. هذا النبي العظيم يتحول إلى طالب علم متواضع يحتمل أستاذه ليتعلم منه.

ويخبره العبد الصالح بأنه لن يصبر، فهناك تصرفات سيأتي بها تثير دهشته، وترتفع في نظره إلى مرتبة الجرائم، فظاهر الأمور مصائب وكوارث، لكنها تُخفي في باطنها رحمة من الله.

ها هما الاثنان يسيران على ساحل البحر، فيستقلان سفينة، وحين ترسو يخرقها العبد فيأخذ منها لوحًا ويلقيه في المياه، فيختفي بين الأمواج، ويتعجب موسى: "أناس يفعلون معنا الخير، فنقابله بالإساءة؟!".

وماذا كان موقف أصحاب السفينة المساكين؟ ربما لاموا حظهم السيئ، وعاتبوا الأقدار التي ابتلتهم بذلك الخرق الذي سيعطلهم عن مواصلة اصطياد رزقهم من البحر.

ويُكمل موسى والعبد سيرهما، ويمران على حديقة يمرح بها أطفال، حتى إذا تعبوا من اللعب وانتحى كل واحد منهم

ناحية واستسلم للنوم، فوجئ موسى بالعبد يقتل غلامًا، ويثور موسى؛ تلك جريمة قتل؟ ولمن؟ لغلام بريء لم يرتكب أي جرم؟

تُرى ماذا كان موقف والدَي الغلام؟ هل ندبا حظهما لأن الموت اختطف ابنهما صغيرًا؟ هل تساءلا لماذا يُقتل وهو بعد طفل بريء؟! يتركنا القرآن هنا أيضًا نضرب في أودية الأفكار!

ويقترب العبد وموسى عليه السلام من قرية أهلها بخلاء، فيرفضون استضافتهما، ويجد العبد جدارًا أوشك على التهدم، فيقيمه، ويتعجب موسى!

وهنا يكشف العبد عن حكمة الله، فالسفينة أنقذها الله بالخرق من ملك يستولي على السفن ليستخدمها في حربه، ولو وجدها سليمة لضمَّها إلى أسطوله، وضاعت على أصحابها المساكين.

والغلام كان سيصير في شبابه عاتيًا في الكفر، وربما جرَف والديه معه إلى الجحيم، فأراد أن يُبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا.

والجدار كان لغلامين يتيمين، ويخفي داخله كنزًا لأحد أجدادهم، ولو ترك العبد الجدار لسقط واستولى عليه أهل القرية البخلاء، فأراد ببنائه حرمانهم من الكنز، وادخاره للغلامين حتى يكبرا.

تلـك هـي حكمـة الله التـي تـوارت عـن عيـون البـشر، حتـى عن نبـي يتلقـى الوحـي، وكان الـدرس الإلهـي بـأن الكـوارث تُخفـي في باطنهـا أحيانًـا الرحمـة، وترتـدي النعـم ثيـاب المصائـب، وأن مـا نراه شرًّا وانتقاصًـا مـن سـعادتنا ربـما كان يكمـن فيـه الخـير، كل الخـير. فهل من متدبر؟!

إضاءة جانبية:

> عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير.. ليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن.. إن أصابته سراء شكَر فكان خيرًا له.. وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له
> عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير.. ليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن.. إن أصابته سراء شكَر فكان خيرًا له.. وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له
>
> **رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ**

ارمِ أحزانك في البحر

خلال حكم نابليون الثالث (1848 - 1870) أمرت الحكومة الفرنسية بنفي فيكتور هوجو (1802 - 1885)، كاتب فرنسا وأديبها وفيلسوفها الشهير، بتهمة الانشقاق عن الحكم، والدعوة إلى الحرية التي خنقوها!

قضى هوجو في منفاه 51 عاما حتى ابيضَّ شعره، ووهن عظمه، واشتد به الحنين إلى بلده، فمضى يقتل الأيام بالقراءة، ويسجِّل أعظم إبداعاته.

شاهدوه يومًا على شاطئ الجزيرة التي نفوه إليها يجلس وحيدًا.. وقد أمسك في يديه مجموعة من الأحجار الصغيرة، يلقي بها الواحدة تلو الأخرى في مياه البحر المتلاطمة على حواف الصخرة التي يجلس عليها.

فاقترب منه غلام، وسأله:

"يا سيدي.. لماذا تأتي إلى هذا المكان بالتحديد؟ ولماذا تلقي بهذه الأحجار الصغيرة في الماء؟".

فنظر الكاتب إلى محدثه الصغير، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة، وقال: "أحجار! أي أحجار تلك التي تتحدث عنها يا بُني؟ إنها ليست أحجارًا كما تبدو في ظاهرها.. إنها آلامي ومتاعبي.. وأنا أحاول أن أغرقها في مياه البحر، لكي أخلِّص نفسي مما أنا فيه".

كثيرًا ما تواجهنا في حياتنا مشكلات وصعاب تسيطر على تفكيرنا، وتحتل كل الأركان الجميلة في قلوبنا، فتحيلها إلى ثكنات عسكرية، وأرض حرب ترتفع فيها درجة الطوارئ، وتفارقنا الراحة والسكينة.. ونعتقد أن الساعة قامت.. وهجمت جيوش الظلم والظلام على حياتنا.. ولن تفارقها أبد الدهر.

ساعتها.. تتوقف عجلة الأيام عن الدوران، ونطيل النظر في المشكلة التي تواجهنا، ونجهد تفكيرنا، ونتوه في دروبها، وتأخذنا الوساوس والظنون كل مذهب، فلا يهنأ لنا طعام، وتخاصم الابتسامة شفاهنا.

الواقع أن جميع المشكلات التي تواجهنا يمكننا التعامل معها بمنطق بسيط للغاية.

لكنْ قليل مَن يفوز به.. فمهما عظمت أزماتنا يجب أن نقابلها بقلب مطمئن، وإيمان راسخ بأن هناك إلهًا في السماء يدبِّر ويدير شؤون الكون.

والتسليم لله يتطلب منا أولًا أن نتدبر قليلاً في المشكلة، ونتخذ فيها الحلول الممكنة، وبعدها نترك الأمر كله لله، لا أن نجعلها تهيمن على أرواحنا، وتكبلها بأغلال لا فكاك منها، فنطيل النظر في المشكلة حتى نغرق في تفاصيلها، وهذا هو لبُّ القضية، لا نطيل النظر فيها!

في هذا المعنى كتب أستاذنا عبد الوهاب مطاوع كلمة في منتهى الروعة: **"ليست المشكلات والصعاب التي تصنع شقاء الإنسان، وإنما مدى إحساسه بها"**.

وما فعله "هوجو" أنه لم يحمل معه أحزانه في كل مكان حلَّ به، وإنما حرص على التخلص منها وألقاها في البحر، حتى تستمر الحياة، ويقدِّم للبشرية أعظم إبداعاته.

فإذا ما اعترضت طريقك مشكلة، فاحرص على أن تقابلها بثبات الجبال، واعلم أن "الصبر عند الصدمة الأولى" كما قال رسولنا ﷺ واعمل بنصيحة ديل كارنيجي الشهيرة التي قدَّمها في كتابه "دع القلق وابدأ الحياة" عندما قال:

1- سل نفسك: ما هو أسوأ ما يمكن أن يحدث لي؟

2- هيِّئ نفسك لقبول أسوأ الاحتمالات.

3- ثم اشرع في إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

ولا تُشْقِ نفسك بكثرة التفكير، ولا تدعها نهبًا للقلق، ولا ترمِ بها في مكان سحيق.

وتذكَّر أن أحد جنرالات الحرب وجد نفسه فجأة وسط ثلوج القطب الجنوبي، فحرص على أن يقسِّم ساعات نهاره بدقة، فيقضي ساعتين في إصلاح مسكنه الثلجي، وساعتين لإصلاح زحافته، وساعتين لإزالة الثلوج المتراكمة. وهكذا دون أن يدع لنفسه فرصة للوقوع في شرك القلق.

رسولنا العظيم محمد ﷺ نصح يومًا ابنته فاطمة رضي الله عنها فقال: "ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلِح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين".

يهيب الرسول الكريم بابنته أن تدع أمرها كله إلى الله، فالإنسان مخلوق ضعيف، والأسلم له أن يدع ربه يدبِّر له، ويصلح من شأنه، ولا يدع نفسه نهبًا للوساوس والظنون، فليعقلها وليتوكل على الله.

استمع إلى الشاعر المبدع إيليا أبو ماضي، وهو يرسم بقلمه تلك المعاني الجميلة في فلسفة الحياة:

وَإِذَا مَا أَظَلَّ رَأْسَكَ هَمٌّ قَصِّرِ الْبَحْثَ فِيهِ كَيْلَا يَطُولَا

قُلْ لِقَوْمٍ يَسْتَنْزِفُونَ الْمَآقِي هَلْ شَفَيْتُمْ مَعَ الْبُكَاءِ غَلِيلَا؟
مَا أَتَيْنَا ً إِلَى الْحَيَاةِ لِنَشْقَى فَأَرِيحُوا أَهْلَ الْعُقُولِ، الْعُقُولَا
كُلُّ مَنْ يَجْمَعُ الْهُمُومَ عَلَيْهِ أَخَذَتْهُ الْهُمُومُ أَخْذًا وَبِيلَا

ثم يوجِّه نصيحته إلينا:

كُنْ غَدِيرًا يَسِيرُ فِي الْأَرْضِ رَقْرَا قًا فَيَسْقِي مِنْ جَانِبَيْهِ الْحُقُولَا
لَا وِعَاءً يُقَيِّدُ الْمَاءَ حَتَّى تَسْتَحِيلَ الْمِيَاهُ فِيهِ وُحُولَا

الآن بقي عليك أن تختار...

بين أن تراكم الهموم على كتفيك، وتصير كالوعاء الذي يقيِّد الماء حتى يأسن.

وأن تتخلَّص من همومك، وتقذف بها إلى أعماق البحر، لتكون غديرًا يسير في الأرض رقراقًا، تستحمُّ فيه النجوم والطيور.

إضاءة جانبية:

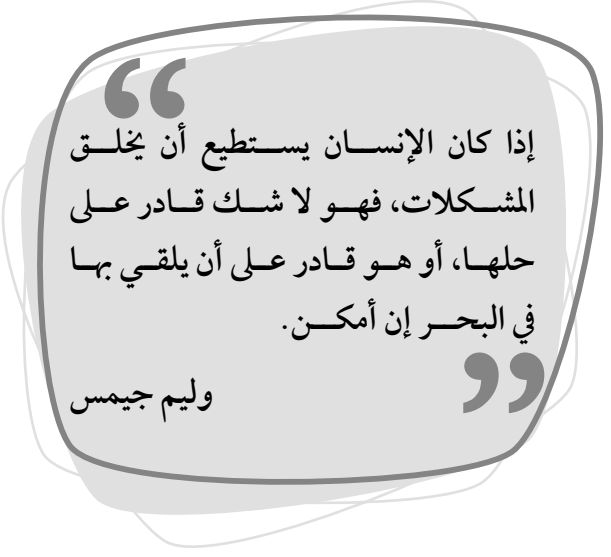

بكلمة بسيطة.. أَسعِد نفسك ومَن حولك

هل سألت نفسك يومًا.. لماذا حينما تسمع كلمة إيجابية تجري السعادة في دمك مجري النهر العذب، تشعر كأنك ريشة تمشي على الأرض، تتحدى قوانين نيوتن عن الجاذبية، فتطير بين السحاب، تعانق أشعة الشمس، تسامر القمر، تتخذ النجوم رفقاء دربك وموضع سرك؟!

ثم لماذا حينما تصل إلى أذنك كلمات سلبية تسير على الأرض حزينًا، تجرُّ رجليك، ترفع قدمك وكأنها جبل، تطأطئ رأسك وتنحني كتفاك، تشدك الجاذبية الأرضية إلى أسفل، وكأن الأرض تريد أن تنشق وتبلعك، تشعر كأن كل أمراض الدنيا قد عقدت عليك اتفاقًا وحِلفًا؟!

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتأثر بالكلمات، الإيجابية ترفعه إلى النجوم والكواكب، إلى سابع سماء، والسلبية تخسف به الأرض.. فأي سحر فاتن يكمن في ثنايا الكلمات؟

الكلمات الإيجابية تستمد سحرها من مادة الإندورفين، التي تشبه في تركيبها الكيميائي الأفيون والمورفين، لكنها أقوى منهما 1000 مرة.

تستطيع أن تطلق عليها "هرمون السعادة"، فعندما يفرزها المخ تؤثر في الجسم كله، فلا يشعر بالتعب والإرهاق، فيصير أخف وزنًا، وتضبط معدل السكر في الدم، وتنظِّم عملية التنفس، وتساعد على إتمام عملية الهضم، والتخلص من آلام الصداع.

وهرمون السعادة يفرزه المخ من خلال عدة طرق:

1- **النوم العميق**: فحينما يسدل الليل أستاره، وتضع رأسك على وسادتك، يمر أمامك شريط يومك، فإذا كان ناصعًا تبسَّمت على أنك قضيت ساعاته في طاعة ربك، وإعمار أرضه، لا تحمل في قلبك إلا الخير، وقتها يأخذك النوم بين أحضانه، ويكافئك ربك بأن يفرز عقلك هرمون الإندورفين.

2- **افتح خزانة ذكرياتك**: واستعِد منها تلك اللحظات الخاطفة التي تسافر بك إلى أعلى علِّيِّين، وتحُّس فيها بأنك من أهل السماء.

3- **استرخِ**: وأَطلِق العنان لخيالك يحلم بما يشاء، بلا قيد ولا شرط.

4- **احتضِن شخصًا أو شيئًا تحبه**: يمكنك أن تحتضن زوجك أو زوجتك، أمك أو أباك أو حتى أختك أو أخاك عند الشعور بالضيق، بل يمكنك أن تحتضن حتى كلبك أو قطتك، وسيتغير شعورك للأفضل، وتشعر بالسعادة.

5- **ممارسة الرياضة**: حاوِل أن تفرغ طاقتك السلبية في الرياضة.

6- **الخشوع في الصلاة**: حيث تنفصل عن الدنيا وهمومها، وتتصل روحك بأصلها الأول في السماء، وتعيش لحظات في الحضرة الإلهية، فيسيل الإندورفين، ويزيدك راحة وطمأنينة.

فلا عجب إذن أن يكون للكلمات الطيبة هذا التأثير في الإنسان، فتجعله سمحًا مع نفسه ومع الآخرين، قادرًا على القفز على كل العقبات التي تقابله، يأخذ الدنيا بصدر رحب.

وكثيرة هي قصص النجاح التي كانت وراءها كلمات تحفيزية، تشجِّع الإنسان على إضافة مزيد من النجاح إلى رصيده، ليكون قادرًا على انتزاع آهات الإعجاب من الناس.

فهذا توماس إديسون (1847 - 1931) الذي أدهش العالم باختراعاته يقول: "أمي هي التي صنعتني.. أشعرتني بأني أهم شخص في الوجود، فأصبح وجودي ضروريًّا من أجلها، وعاهدت نفسي على ألا أخذلها كما لم تخذلني قط".

وهذا نابليون بونابرت (1769 - 1821) الذي دوَّخ أوروبا لسنوات كثر، وصنع مجد فرنسا الحديثة، يقول: "إن ما توصلت إليه اليوم هو من عند أمي". فقد كانت تشجعه وتُعِدُّه ليكون قائدًا عبقريًّا.

أيضًا الأم التي توشك على الوضع، تلك الساعات الأليمة تهوِّنها كلمات الزوج التشجيعية، وضغطته الحانية على يديها، فتصبح أكثر قدرة على مواجهة الآلام.

والزوجة التي تودِّع زوجها كل صباح، وقد طبعت قُبلة على جبينه، تجعله أكثر قدرة على الإنجاز والعمل، وتحمُّل مصاعب الحياة، وسخافات البشر.. وعلى النقيض، الزوج الذي يشعر بمنغِّصات في بيته، يخرج كل يوم منه كدرًا، ضائق الصدر، كأنما تطبق الجبال على روحه، أتفه المواقف قادرة على استثارة غضبه.

فإذا أردنا أن نكون سعداء، ويعيش مَن حولنا سعداء، فليكشف كلامنا عن كل ما هو حسن، ونستر مناطق الزلل بستارة من النصح الجميل، "فالكلمة الطيبة صدقة"، فإذا أردنا أن ننتقد الآخرين، فليكُن بمعزل عن المحيطين بهم، وليكُن بعد سرد الإيجابيات، وأن يحمل الانتقاد بين كلماته التشجيع.

فهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب يرى -وهو غلام صغير- في المنام، وكأنما بيده قطعة إستبرق، لا يشير بها إلى موضع من الجنة إلا طارت به إليه، فقصَّ تلك الرؤيا على أخته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، فقصتها على النبي ﷺ فقال: "نِعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل".

فوجَّه رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر إلى قيام الليل، ووصفه بأنه رجل، على الرغم من أنه كان غلامًا صغيرًا، وقال له كلمة لطيفة، فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً.

فهيِّئ طريقًا لهرمون السعادة، وتقرَّب إلى قلب أحبابك بالكلمة الإيجابية، واعلم أنها قد تكون بسيطة في معناها، قليلة في حروفها، لكنها تحمل في ثناياها قوة تحفيزية تجعلهم يحرِّكون الجبال.

إضاءة جانبية:

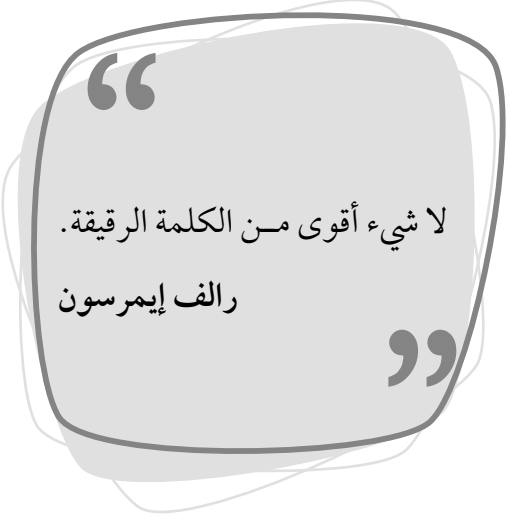

النجاح والانتصار يحتاجان إلى الصبر

سُئل أحد الأبطال يومًا عن سر قدرته على مواجهة الصعاب، فسكت قليلاً، ثم قال بصوت هادئ، لكنه يفيض قوةً: "انظر إلى الشخص الذي يكسر الأحجار ليشكِّل منها لَبِنَات يشيد بها مباني شاهقة وقصورًا فارهة، إنه يظل يضرب الصخر بمطرقته، ربما مائة مرة، دون أن يبدو فيها أي أثر يبشِّر بكسر، لكنه يواصل جهده، وفجأة، وربما في المرة الواحدة بعد المائة ينشطر الصخر، ولكن ليس من الضروري أن تكون الضربة الأخيرة هي التي حققت النتيجة، بل المائة التي سبقتها!".

لقد وضع صاحبنا أيدينا على سر النجاح والتفوق، وهو احتمال الشدائد في سبيل الفوز، والأهم من ذلك التروِّي وعدم الاستعجال في الحصول على ثمرة التعب، فالإنجاز لا يأتي بالهبات السريعة، وإنما يحتاج إلى الأعمال المتراكمة والإيجابية، والإرهاق الذي ربما نال من أجسادنا لا ينبغي أن يتعداها إلى أرواحنا، فتظل بمنأى عن اليأس، والاستعجال في قطف الثمرة.

فهذا الفلاح، يضع البذرة برفق في الأرض، ويظل يتعهدها بالماء والسماد، ويزيل من حولها الحشائش الضارة، وفي صمت تُعِدُّ البذرة برعمها، حتى إذا حان الأوان، نفض عن نفسه التراب، واحتضن دفء الشمس، وفي بداية عهده بالحياة يكون ضعيفًا، قد تضيع روحه بيد طفل غرير، لكنه يظل يقوي نفسه، ويكتسب من أسباب القوة والتمكين ما يعينه في قادم الأيام على أن يكون شجرة باسقة تتحدى العواطف والرياح الثائرة.

سر النجاح ربما كان في الصبر، وتحمُّل مشاق الإعداد الطويل، وصعوبات البدايات الأولى، وقتل الاستعجال.

يروي الإمام البخاري في صحيحه أن الصحابي خباب بن الأرتِّ خلال العهد المكي ذهب مع رفاقه المضطهدين إلى رسول الله، يطلبون منه أن يدعو الله فينصرهم على قريش، التي تتفنَّن في إنزال أشد ألوان العذاب بهم.

فوجئ خباب بالنبي ﷺ وقد احمرَّ وجهه من الغضب يقول: "قد كان من قبلكم يُؤخذ منهم الرجل، فيُحفر له في الأرض، ثم يُجاء بالمنشار، فيُجعل فوق رأسه، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليُتِمَنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه"، ثم حذَّره من فخ السقوط والفشل: "ولكنكم قوم تستعجلون".

فالنفس الإنسانية قد تطمح أحيانًا إلى رؤية ثمار ما تُقدِّمه سريعًا، وتغفل أن الأمر ربما يحتاج في بعض الأحايين إلى قليل أو كثير من الصبر.

والقارئ للسيرة النبوية حقًّا عليه أن يتوقف عند حادثة حصار المسلمين في شعب بني هاشم!

هذا الحصار استطال أمده ثلاث سنوات كاملة، فرضت فيه قريش مقاطعة كاملة على المسلمين ومَن تعاطف معهم، لا بيع، لا شراء، حتى بلغ الجهد من المسلمين، وأكلوا أوراق الأشجار.

في بداية أمر الحصار كان من الطبيعي أن يستعجل المسلمون الخروج من هذا المأزق، وأن تمرَّ تلك الأيام الكالحة سريعًا، طالما وعدهم الله بالنصر والتمكين، بيْد أن الأمر استمر أكثر من ألف يوم وليلة، كان فيها الوحي ينزل، فلا يطالب المسلمين إلا باليقين والثبات.

ثلاث سنوات كاملة عاشها المسلمون محاصرين بين حرارة الجبال وشدة الجوع، لم يدخل خلالها دين الإسلام إلا القليل، حتى ظنَّ بعضهم أن الدعوة الإسلامية قد تجمدت تمامًا، حتى إن كتب السيرة النبوية لا تجد ما تكتبه في أحداث تلك السنوات، ولا تتعدى كلماتها بضع صفحات قليلة!

المدهش أن ذلك الحصار لم ينتهِ بحدث جلل، إنما هي النخوة التي ثارت في نفوس بعض رجال قريش الشرفاء، وكانوا للعجب على دين الكفر، فقالوا: "كيف يطيب لنا طعام وشراب وإخواننا محاصرون في الشعب يعانون الشمس والجوع؟!".

في تصوري، أن تلك الفترة ربما كانت لإعداد المسلمين لما هو قادم، فهؤلاء الذين صمدوا وتحمَّلوا الجوع والعطش والتنكر من بني البشر، كانوا هم مَن صَمَد مع النبي حينما هاجر إلى المدينة لينشئ دولة الإسلام، وتحدَّوا معه قوانين البشر في كل الغزوات التي خاضوها ضد قوى الشرك والوثنية من أجل نشر الدين.

يقول الشيخ محمد الغزالي (1917 - 1996) في كتابه "فقه السيرة" عن حصار المسلمين في شُعب بني هاشم: "وقد أفاد الصحابة من ذلك عفةً ونقاءً وإخلاصًا لا يُعرَف له في التاريخ نظير، فلما تعثرت تيجان الملوك بأقدامهم، واستسلمت الأقطار المكتظة بالخير لجيوشهم، كانت دوافع العقيدة وأهدافها هي التي تشغل بالهم قبل الفتح وبعده، فلم يكترثوا بذهب أو فضة".

فهذا قدَر أصحاب الرسالات العظيمة أن يواجهوا الابتلاءات والمِحن والصعاب، وتُصهرهم التجارب، وترقق نفوسهم الملامات.

أتــدري قارئــي الحبيــب، لمَ نــال الكاتــب الإنجليــزي تشــارلز ديكنــز (1812 - 1870) تلــك المكانــة الرفيعــة في الأدب العالمــي؟ ربــما لأن بدايتــه كانــت شــاقة، تحمَّــل فيهــا الصعــاب، مُعِــدًّا نفســه ليكــون ذا شــأن في مســتقبل أيامــه.

فقــد أفلــس والــده، فــكان عليــه أن يلتحــق بــأي عمــل يســاعد به أسرتــه الفقــيرة، فعمــل في مصنــع صغــير لتعبئــة زجاجــات الصبغــة، كان يعمــل فيــه مــن شروق الشــمس إلى غروبهــا، وهــو يــرى الفئــران تعيــش معــه وتمــرح حولــه، كل ذلــك مقابــل شــلن واحــد!

وفي المســاء كان عليــه أن يقطــع ماشــيًا عــلى قدميــه مســافة طويلــة حتــى يصــل إلى بيــت أسرتــه.

تلــك الفــترة القاســية خلقــت مــن ديكنــز ذلــك الكاتــب المبــدع الــذي كتــب ســاخطًا عــلى مســاوئ المجتمــع الــذي عــاش فيــه، فــراح يعمــل لإصلاحــه.

ومــن بعــده كان عمــلاق الأدب برنــارد شــو (1856 - 1950)، الــذي قــضى طفولــة قاســية، وعانــى الفقــر في شــبابه، وتأخــر عنــه النجــاح حتــى اقــترب مــن ســن الأربعــين.

فتعلَّــم أخــي الحبيــب فــن النجــاح، وتيقَّــن أن الفــوز يــأتي بالصــبر، ومهــما اســتطالت الأيــام فاتخِذهــا وقــودًا، يُكســبك مزيــدًا مــن التجــارب، ويدفعــك دائــماً إلى الأمــام.

إضاءة جانبية:

ما أشبه النكبة بالبيضة، تُحسَب سجنًا لما فيها، وهي تحوِّطه وتربِّيه وتعينه على تمامه، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة والرضا إلى غاية، ثم تُنقَف البيضة فيخرج خلقًا آخر، وما المؤمن في دنياه إلا كالفرخ في بيضته، عمله أن يتكون فيها، وتمامه أن ينبثق شخصه الكامل، فيخرج إلى عالمه الكامل.

مصطفى صادق الرافعي

كيف تكسب صديقًا؟

بعد انتصار المسلمين في مكة، وتقليم شوكة هوازن وثقيف، شعرت القوى المناوئة للإسلام بخطر ذلك الدين الجديد. وترامى إلى النبي أن الروم تُعِد جيشًا، لتغزو به شمال الجزيرة، يُنسي الناس انسحاب المسلمين الماكر في مؤتة، ويُنسي الناس ذكر المسلمين وسلطانهم الزاحف في كل مكان.

الوقت صيف، والحرارة في أوجها، والثمر قد اقترب نضجه ويغري بالمكوث في المدينة، والعدو تعداده ضخم وقوي، ويبعد مئات الأميال التي تقطعها صحراء تشوي نيران رمالها الجلود.

ولهذا كله.. وعلى غير عادته أعلن النبي ﷺ أنه يتجهز لقتال الروم، وكان قبلها يُخفي وجهته إذا خرج لقتال.

كانت بحق "غزوة العسرة"، لم يقدر عليها إلا ذوو الإيمان الحق، وآيات سورة التوبة تنبئ بأن تلك الغزوة كانت المعيار الذي فصل بين أهل النفاق، وأهل الإيمان في المدينة.

وبعد سفر شاق، عانى فيه المسلمون ظمأَ الصحراء والشمس الحارقة، بلغوا تبوك في الشمال، فلم يجدوا عدوًّا، فقد آثر الروم الاختباء خلف أسوار دولتهم.

ويعود الحبيب، ويهرول إليه المُخلَّفون الذين آثروا المكوث في المدينة حيث الماء البارد، والهواء العليل، على الجهاد في سبيل الله.. يعتذرون بأسباب واهية، ويقبل النبي أعذارهم، ويوكل أمرهم إلى ربهم.

والعجيب أنه كان من بين المُخلَّفين ثلاثة من الصحابة ممن صلح إيمانهم، ولكن أقعدهم التسويف في التجهز مع رسول الله.

كان من هؤلاء الصحابي كعب بن مالك الذي شهد كل غزوات رسول الله فيما عدا بدرًا الكبرى، لم يتخلف عن واحدة منها.

تُرى ماذا سيقول للنبي الآن؟!

يجلس كعب بين يدَي النبي في المسجد، عازمًا على قول الصدق: "والله إني لو جلست عند غيرك من ملوك الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلًا، ولكني والله لقد علمت إن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عليَّ، ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه، إني لأرجو فيه عفو الله عني.. والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك".

ويقول النبي: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك".

ويُصدر النبي أمره للمسلمين بمقاطعة الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا، فتنكرت لهم الأرض، وضاقت عليهم أنفسهم، تكاد قلوبهم تنشق من شدة الحزن على ما كان منهم.

ويستمر الثلاثة على تلك الحال 05 يومًا.. بعدد الأيام نفسها التي استغرقتها غزوة تبوك.

وأخيرًا جاءت توبة الله.. فبينما كعب في بيته يصلي الفجر سمع صوتَ صارخٍ على جبل ينادي بأعلى صوته: "يا كعب بن مالك، أبشِر".

فخرَّ ساجدًا، وعلم أن الله تاب عليه.

وهرول إلى الحبيب ﷺ، يقول: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله جالس وحوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنَّأني، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره، ولست أنساها لطلحة.

انظر يا صاحبي.. لقد كسب طلحة صديقًا إلى الأبد، بفعل بسيط للغاية، حينما عبَّر عن فرحته بتوبة الله على كعب، فقام إليه واحتضنه.

لم يكن المسلمون في مسجد رسول الله بأقل فرحًا من طلحة بتوبة الله على أخيهم كعب، لكن كعبًا أحس بالعاطفة التي

يكنُّها له طلحة.. لماذا؟ ربما لأنه كان محرومًا من أي ابتسامة، لم تزُره السعادة طوال فترة المقاطعة، التي لم يعرف خلالها إلا الهم والحزن، فلما طرق قلبه الفرح كان أول مَن هنَّأه طلحة.. فترك ذلك الأثر الطيب في نفسه.

فتنبَّه يا صاحبي.. واعلم أنك "تستطيع أن تكسب من الأصدقاء في شهرين أكثر مما تكسبه في عامين، إذا ركَّزت على أن تهتم بالآخرين بدلًا من أن تركِّز على أن يهتم الآخرون بك"، كما يقول الكاتب الأمريكي ديل كارنيجي.

فالصديق وقت الشدة يكون أشد ما يحتاج إليك، يكون كالنبتة في قيظ الصحراء تشتاق إلى قطرة ماء تمدُّ إليها أسباب الحياة، ويحتاج إلى مَن يشدُّ أزره ويقوي عزمه، ويحتاج إلى قلبٍ مخلصٍ يبثه أحزانه، وحبيبٍ يستند إليه عندما تتنكر له الحياة، لا مَن يسير في موكبه وقتَ النصر، مختفيًا وقت المحنة.

"فالصداقة تحتاج إلى موهبة كي تحافظ عليها"، كما يقول الروائي المصري محمد مستجاب. ولا تتخذ من إيقاع الحياة السريع، وضجيجها الصاخب مبررًا للتخلف عن مؤازرة الصديق، واحرص على أن تضيف إلى رصيد المحبة لا أن تخصم منه.

إضاءة جانبية:

سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم الرسول ﷺ: ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه.

اجعل جنتك في قلبك

سفينة الحياة لا تسير بنا أبدًا هادئة، وإنما تتقلب ما بين النعيم والشقاء، والسكون والصراع، والغنى والفقر، ونسيم وادع وإعصار جارف.. وليس في الأمر جديد، فالدنيا هي دار الابتلاء والاختبار.

لكن ما أجمل الحياة حينما نقابلها بقلب ثابت، مُعلَّق بحب الله، يرى حكمة الله تختفي في الخير الذي ينالنا والشر الذي يصيبنا، فيقابل ذلك كله بالحمد، يعيش في جنة الله، وهو لا يزال في الدنيا، فقد زرعها في قلبه، يستمع إلى تغريد طيرها، ويسبح في أنهارها، وتصفو روحه في سكونها.

فلا تجعل نفسك رهينة الواقع المؤلم، فيغلبك اليأس والقنوط، بل ألقِ الألم وراء ظهرك، واقتلِع أشواك الحزن، وعِش بروحك في الجَنة، وامضِ في الحياة بصدر المؤمن الصادق الإيمان، الذي يحيا في معية الله.

الإمام أحمد بن حنبل (164 - 241هـ) قاسى العذاب الأليم خلال مدة حكم الخليفة المأمون (حكم 198 - 218 هـ)، عندما

مـال الخليفـة إلى رأي المعتزلـة في أصـل القـرآن بأنـه مخلـوق، بينـما رأى الإمـام أن القـرآن قديـم منـذ الأزل.

ويرفـض غـرور المأمـون أن يخالفـه أحـد مـن العلـماء، ولـو كان في مقـام ابـن حنبـل، فأقسـم أن يعذبـه حتـى يوافقـه الرأي.

ويدخـل الإمـام السـجن، ويضربـه الجـلاد بالسـياط، وينخسـه بالسـيف، ويُـداس بالأقـدام حتـى يُغمـى عليـه، وتسـتمر تلـك المعانـاة بـكل أيامهـا المؤلمـة سـنوات طـوالًا، في مـدة حكـم المأمـون، ومـن بعـده المعتصـم والواثـق.

أمـا ابـن حنبـل، فقـد كان يثـير دهشـة جلاديـه بتلـك الابتسـامة التـي تنـير وجهـه، حتـى إن تلاميـذه يشـفقون عليـه يومًـا، ويحدثونه أن يصـبر عـلى عـذاب السـجن، فيقـول لهـم كلـمات قليلـة جـدًّا، تكشـف سر تجلـده عـلى تحمُّـل العـذاب: "أنـا جنتـي في صـدري".

لقـد حـدد ابـن حنبـل الفـرق بينـه وبـين غـيره، أنـه يحمـل جنتـه في صـدره.. وأنـه رجـل يعيـش في جنـة الرضـا عـن الله، وليـس يعنيه أن يوضـع في السـجن أو في قـصر، فهـو في الجنـة سـواء وضعـوه في قلـب النعيـم أم في قلـب العـذاب.

فـإذا نـال أعـداؤه مـن جسـده، فهـذه روحـه تحلـق بعيـدًا، بعيـدًا عـن جلاديـه، في الجنـة، فكيـف لهـم أن يُخرجـوه منهـا؟!

إنه إذن لأمر عجيب!

لكن لِمَ العجب، والرسول يقول لأصحابه: "إن للجنة رائحة طيبة، يجدها المؤمن من مسيرة أربعين عامًا".

ويعرف التاريخ الإسلامي محنة مشابهة، لفقيه كانت كل جريرته أنه تمرد على العقول المتحجرة لبعض الفقهاء، فعرف السجن ومرارته مرات عديدة، إنه شيخ الإسلام ابن تيمية (661 - 728هـ).

كان حراسه وتلاميذه يعجبون من صبره على ظُلمة السجن، فكان يقول لهم بلهجة الواثق والمتحدي لكل أعدائه: "ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما رحت لا تفارقني، حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة".

لقد أرهق شيخ الإسلام أعداءه ومخالفيه.

وتحداهم جميعًا بكلماته القوية: "إن في الدنيا جنة مَن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، إنها جنة الإيمان.. والمحبوس مَن حُبِس قلبه عن ربه، والمأسور من أسَره هواه".

ويا لها من كلمات تنير الطريق، وتنقشع بها الغيوم! وسبحان مَن أشهد عباده جنته قبل لقائه.

فعِش في جنتك، وازرع فيها الأمل لتنشر مِن حولك السعادة، لتلوذ بها إذا ما اشتدت عليك وطأة الحياة.

فنسنت فان جوخ (1853 - 1890) الرسام الهولندي الشهير الذي قضى الجزء الأكبر من حياته يعاني الفقر، وفقدان الحب، وتقلَّبت سفينة حياته ما بين الشقاء والحزن، وسخرية الناس، واستهزائهم به، ووصْمِه بالجنون.

وخلال سنوات عمره القصير، أنتج أكثر من ألفي عمل، لم يستطِع أن يبيع أيًّا منها خلال حياته.

كان يرسم ثم يعرض رسوماته على الفنانين الكبار، لكنهم كانوا يصدمونه بآرائهم السلبية، حتى إن أحدهم قال له يومًا: "إن رسومك يا فان جوخ رديئة".

فكان رسامًا فقيرًا، يجوب الريف بأسمال بالية، وحذاء ممزق، يستجدي خبزه بما يرسمه.

لكن حينما أمسك بالفرشاة بين أنامله، جاءت لوحاته أجمل وأروع من الأصل الذي يُنقل عنه.. وهو أمر يثير دهشة أخيه، الذي يسأله يومًا: "إني أرى الجمال في كل ما ترسمه، وأنت لم تعرف للحياة معنى، ولم تنعم بجمالها يومًا، كيف تصوِّر هذا الجمال الذي لا تراه؟!".

فيرد الرسام الفقير: "لقد حُرمت من كل مُتع الدنيا، ومن أجل هذا حاولت أن أعطي لوحاتي كل ما كنت أحلم به وأتمناه لنفسي.. سوف تعيش أعمالي في السعادة التي حُرمت منها".

لقد أبدع الرسام العالمي لوحاته من تلك الجنة التي كان يحملها في صدره للحياة، وعاش فيها بروحه، أما جسده، ذلك الكيان المادي، فقد كان يبدو للناظر أنه محبوس في الدنيا، متقيد بحدودها من نصيب الغني والفقر.

فهجر جوخ الدنيا، وعاش بروحه في جنته، فأبدع لوحات لا تزال تبهر مشاهديها على مر العصور.

لا تدع التوافه تغلبك

كان الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (61 - 101هـ) يتعبد ليلاً في أحد الجوامع، ولشدة الظلام تعثرت قدمه بأحد المصلين، فصرخ الرجل في الخليفة دون أن يدري مَن هو: "أأعمى أنت؟"، فردَّ عمر في هدوء، ليردع أي خلاف قد ينشب بسبب الإهانة التي وجُهت إليه للتو: "مُبصر".

ويبدو أن هذا الرد لم يرُق لأحد مرافقي عمر ﷺ، فأراد أن يلحق بالرجل، ويؤنبه على ما كان منه نحو خليفة المسلمين، فما كان من الخليفة الراشد إلا أن أمسكه قائلًا له: "هو سألني أأعمى أنت؟ فأجبته: مُبصر.. والأمر لا يعدو كونه سؤالًا وجوابًا".

من الرائع أن نأخذ الأمور ببساطة، ونسمو فوق الخلافات البسيطة، والزلات التافهة، والهفوات غير المقصودة، ونتغلب على توافه الأمور وصغائرها، ولا ندعها تأخذ من وقتنا وراحتنا، فنطرد طيور السعادة من قلوبنا، لتحل مكانها غربان الخلاف والشقاق، وكل ذلك بسبب أمر بسيط يمكن تجاوزه والمرور عليه كأنه لم يكن.

يقول ديل كارنيجي (1888 - 1950)، المؤلف الأمريكي ومطور الدروس في تحسين الذات، في تعجُّب: "إننا نواجه كوارث الحياة وأحداثها في شجاعة نادرة وصبر جميل، ثم ندع التوافه بعد ذلك تغلبنا على أمرنا!".

فمن الغريب حقًّا أن يصمد الإنسان أمام أزمات الحياة وصعوباتها وتجاربها القاسية، ثم يدع نفسه نهبًا لتوافه الأمور تغلبه على أمره، وتحيل حياته إلى جحيم، فيثور لأتفه الأمور، بسبب القميص الذي نسيت زوجته أن تكويه، وبكاء الأطفال، والطعام غير الناضج، وسائق التاكسي الذي حاول أن يرفع من تعريفة الأجرة، وسخافات زميل العمل.

والنتيجة أن يأخذ كل ذلك من صحته النفسية والبدنية، ويصبح قابلاً للاشتعال في أي وقت.

انظر إلى الجبال الشاهقة كيف تتحدى العواصف والرعود والبروق، تصمد في وجه أمواجها العاتية، تبدو للناظرين ثابتة صامدة، لكنها على شدتها تتآكل تدريجيًّا بفعل قطرات المطر الصغيرة، فتأخذ من صخورها وتهبط بها إلى أسفل، فتصنع منها وديانًا وقيعانًا، كانت في السابق جبالاً شامخة، كان يمرُّ عليها المرء، فيظنها قد خُلقت للخلود.

وتلك الأشجار المُعمِّرة تعيش عمرها تتحدى العواصف الغاضبة، والرياح الثائرة، ثم تتهاوى أمام زحف الهوام والحشرات!

وكم من صداقات وبيوت كان مصيرها مشابهًا للجبال والأشجار، تظلُّ صامدة إلى حين، ثم تتداعى أركانها بفعل الانشغال بصغائر الأمور، فيختفي ذلك الحبيب الذي كان لا يألو جهدًا في إسعاد حبيبه إلى صياد ماهر للأخطاء والزلات.. يعلق على كل كلمة، وعلى كل لفتة، وكل إشارة، يحاسبه عليها حساب المَلكين، حتى يظنَّ أن مأذون الزواج خدعه وجعله يرتبط بمحقق نيابة!

وتتحول الحياة إلى محاولة للدفاع عن: لماذا قال؟ ولماذا لم يقُل؟ ولماذا جاء؟ ولماذا لم يأتِ؟ حينها تصير العشرة إلى جحيم يغرق في استعذاب الشكوى ومحاولات مستمرة للاسترضاء!

ولأن للصبر حدودًا، ومع تكرار الأمر بشكل سخيف، يجد الحبيب نفسه مشتعلًا غضبًا في أقل من الفيمتو ثانية.

الغريب أن ذلك الأمر يبدأ بسيطًا، ثم يتضخم شيئًا فشيئًا، كالانهيار الجليدي، يبدأ بطيئًا، ثم يزداد قوةً تدريجيًّا، حتى تصل سرعته إلى 052 ميلاً في الساعة، يدمر كل ما يلقاه، ويمحو بيوتًا تسكن في سفح الجبل، ظن أصحابها أنهم يشيدونها في الجنة، فإذ هي أثر بعد عين، والسبب بضع صخرات جليدية!

الأكثر غرابةً وإيلامًا، أن كل طرف يساعد الآخر على الاشتعال، الكلمة يقابلها الكلمة، والعبارة الجارحة تقابلها عبارة أشد.. وبدلًا من الحديث في الأمر التافه، يتحول الأمر إلى تقييم لفترة الزواج، وتُستدعى كل الذكريات القديمة المُرَّة، والأيام التعيسة التي عاشها كل طرف مع الآخر، وأن الحياة معه لم تكن إلا خطأً كبيرًا، وتلك الفظائع التي ارتكبها في حقه، لكنه ظل صابرًا حتى تظلَّ سفينة الزواج طافية!

وهكذا يبدأ الحديث بخلاف عابر، وينتهي إلى الحديث في مسائل فلسفية عويصة!

فما الحل إذن لمواجهة تلك العواصف التي تحل على البيت دون سابق إنذار؟

اقرأ معي الروشتة التي يقدمها الأستاذ عبد الوهاب مطاوع (1940 - 2004): نصيحتي التي أوجهها دائماً إلى الأزواج والزوجات هي أن يكون خلافهما منطقيًّا ومحصورًا في دائرة السبب المباشر له، دون إعادة طرح العلاقة بينهما ككل للنقاش الذي لا بد أن ينتهي غالبًا بالحكم عليها بالفشل.

فمن الطبيعي أن يتشاجر ويختلف أشد المحبين من وقت إلى آخر، لكن المهم أن يبقى ذلك في دائرة السبب المباشر، وأن تكون أوقات الصفاء طويلة ودائمة وأوقات التشاحن قصيرة.. وأن يبتعدا عن تلك الصغائر التي كانت سببًا في تصدُّع بيوت كثيرة.

وليعلم الطرفان أن للخلاف آدابًا، ومنها ألا يحاول أحد الطرفين استشارة الآخر وهو في قمة انفعاله، وأن يبذل كلٌّ منهما جهده في امتصاص غضب الآخر، وأن يسعى إلى تأجيل المناقشة تكون فيه الأعصاب قد بردت، وصَفَا الجو من الغيوم.

رحلة الحياة مهما طالت قصيرة، فلماذا لا يهوِّن رفاق الحياة على أنفسهم وعلى شركائهم متاعب السفر؟ وهل فرغت الدنيا من المشكلات الجادة حتى يبحثوا بعزم عن مشكلات بسيطة تنغِّص عليهم الحياة؟!

إضاءة جانبية:

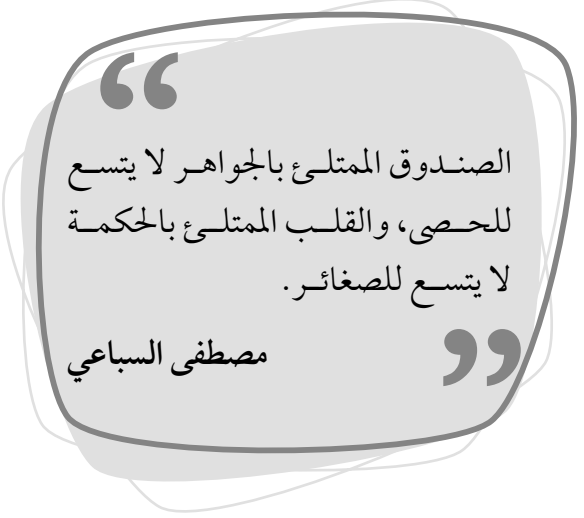

مهما كان عمله متواضعًا..فلا تسخر منه أبدًا

كان رئيس وزراء بريطانيا هنري بالمرستون (1784 - 1865) يسير يومًا في أحد شوارع مدينة لندن، عندما شاهد أحد اللوردات الإنجليز يترجَّل عن جواده، ثم يتجه إلى كناس بسيط، يبذل جهده في رفع القاذورات من الشارع، وينهال عليه ضربًا!

سرى الغضب في رئيس الوزراء، فصرخ في سائق سيارته أن يتوقف، ليترجل مباشرة إلى حيث يقف اللورد المتعجرف، وسأله: "لماذا تضرب الكناس؟".

فقال اللورد بكبرياء: "لأنه وضع عربته القذرة في طريق جوادي!".

وأراد بالمرستون أن يلقِّن هذا اللورد درسًا في احترام قيمة العمل أيًّا كان، فقال له: "ألم يخطر ببالك أن هذه العربة الصغيرة أنقذتك أنت وكل أفراد أسرتك من القاذورات التي كان يمكن أن تتجمع وتؤدي إلى انتشار أخطر أنواع الأوبئة!".

وحتى يعيد للكناس البسيط كرامته طلب من اللورد أن يعتذر له حالًا، لكن اللورد رفض بإباء وشمم، وهنا صاح

رئيس الوزراء مهددًا: "إذ لم تعتذر فسوف أطلب تقديمك للمحاكمة بتهمة الاعتداء على موظف رسمي في أثناء تأديته عمله، وأمرت بإعفاء كل الكناسين من جمع القاذورات من أمام بيتك!".

وأمام إصرار وجدية رئيس الوزراء لم يجد اللورد مفرًّا من تقديم الاعتذار.

لقد أدرك السياسي الإنجليزي العظيم قيمة العمل مهما كان بسيطًا، فحثَّ على احترام صاحبه.. فلو تعاملنا باحتقار وازدراء مع الأعمال المتواضعة لتوقَّف المجتمع.

تُعلِّق كتب التاريخ البريطانية على موقف بالمرستون بقولها: "وكانت هذه أول سابقة من نوعها في تاريخ بريطانيا"، لكن ذلك الأمر عرفه التراث الإسلامي قبل ذلك بقرون طويلة، فحينما يلتقي النبي ﷺ يومًا مع واحد من أصحابه، ولا يكاد يصافحه حتى يجد في كفه خشونة غير مألوفة، فيسأله النبي: "ما بال كفيك قد أمجلتا؟"، أي: أصابتهما الخشونة، فيجيبه الصحابي: "من أثر العمل يا رسول الله".

فيسعد النبي بجهد أصحابه، ويرفع كفيه على الملأ من الحضور، ثم يقلِّبهما ويلوِّح بهما كأنهما راية للنصر، ويقول مُباهيًا: "كفان يحبهما الله ورسوله".

ورفع الحبيب من قيمة العمل، مهما كان بسيطًا، حينما قال: "من أمسى كالًّا من عمل يده، أمسى مغفورًا له".

ولم يكن ذلك غريبًا على الإسلام الذي احترم كل الأعمال، فهذا نبي الله داود يعمل حدادًا، ونبي الله زكريا نجارًا، وموسى عليه السلام راعي أغنام طوال إقامته في مدين، ونبينا ﷺ كان راعيًا للغنم في شعاب مكة.

لكن أي تغيُّر أصاب مجتمعنا حتى أصبحنا ننفر من المهن اليدوية البسيطة، وننظر بدونية إلى من يعمل بها؟! بل ويسخر بعضنا منهم!

تلك النظرة تحتاج منا إلى تغيير، سواء من أفراد المجتمع، أم من جانب مَن تدفعهم أقدار الحياة ليعملوا بها، وليأخذوا بكلمات مارتن لوثر كنج الابن (1929 - 1968): "إذا دُعي الرجل ليكون كنَّاسًا في الشوارع، فيجب أن يكنسها بمهارة مايكل أنجلو نفسها وهو يرسم لوحاته، أو بيتهوفن وهو يؤلف موسيقاه، أو شكسبير وهو يكتب الشعر، يجب أن يكنسها جيدًا، بحيث يتوقف كل من يراها ويعلق قائلاً: "ها هنا عاش كناس عظيم، أدى مهمته بإتقان وبراعة"".

وقد تفوَّق علينا أهل الغرب في هذا المضمار، فهم يتفاخرون بالأعمال البسيطة التي يمارسونها لكسب قوت العيش، ويحكون بفخر أن جُل العظماء والمبدعين عاشوا ظروفًا قاسية في بدايات حياتهم.

فهـذا مـارك تويـن (1835 - 1910) أحـد أعظـم كُتَّـاب أمريـكا، يعمـل في صبـاه بمطبعـة صغـيرة يكتسـب منهـا قليـلاً مـن المـال لإعالـة عائلتـه.

وذاك شـيخ الروائيـين البريطانيـين تشـارلز ديكنـز (1812 - 1870) يقـضي أيامًـا مـن طفولتـه في معمـل حقـير لتعبئـة الأصبـاغ، والفئـران تمـرح مـن حولـه.

وهذا لولا دا سيلفا رئيس البرازيل يفخر بأنه عمل ماسحًا للأحذية لمساعدة والديه وأشقائه، وفي شبابه يعمل في صناعة السيارات ثم التعديـن، وفَقَـد أحـد أصابعـه في أثنـاء تشـغيل أحـد المكابـس المائية.

أمـا أهـل أمريـكا، فهـم يتحدثـون بـكل فخـر عـن نبيهـم، الـذي حررهـم مـن الأفـكار الباليـة، وأعـاد بنـاء دولتهـم بعدمـا كادت تتهـاوى. وذاكم هـو إبراهـام لنكولـن (1809 - 1865)، الذي جاء إلى الدنيـا في كـوخ خشـبي ذي ثلاثـة حيطـان في غابـة فسـيحة، وكان أبـوه حطَّابًـا فقـيرًا لا يملـك مـن حطـام الدنيـا شـيئًا، فـكان عليـه أن يصـارع بيديـه ليعيـش، فعمـل حطَّابًـا وملَّاحًـا وحامـل أثقـال.

هـذه النشـأة المتواضعـة أضفـت عـلى سـيرته كلهـا نوعًـا مـن العظمـة والقداسـة، لم يكـن ليتـاح لـه لـو أنـه عـاش في مهـاد النعمـة وتقلَّـب في مراتـب العـز، بـل كانـت تلـك الأعـمال تهيئـة لمـا يدخـره له المسـتقبل.

يقول أستاذ التاريخ الدكتور حسين مؤنس (1911 - 1996): "حتى إذا جدَّ الجد، وتطلبت أحوال بلاده رجلاً قويًّا يكشف عنها البلاء، ويرد عنها السوء، تقدَّم واثقًا مطمئنًّا، وقد وجد نفسه مستعدة كاملة العدة للصراع والنضال، لقد أورثه صراع حياته قوة استخدمها في صالح أمته وبني وطنه".

ولعل الحبيب ﷺ خير دليل على تعلُّم المهارات من المهن البسيطة التي عمل بها، فقد تربَّى في البادية، وهو ما ساهم في قوة بدنه وفصاحة لسانه وشجاعته، وفي طفولته عمل في رعي الأغنام، وفي شبابه عمل في التجارة لكي يزداد علماً ومهارة، فتعلَّم من رعي الأغنام الصبر والتأمل، وتعلَّم من التجارة الاقتصاد والقيادة.

فليست العظمة دروسًا تُلقَّن، ولكنها تجارب تصقل مهارات الإنسان وخبراته.

إضاءة:

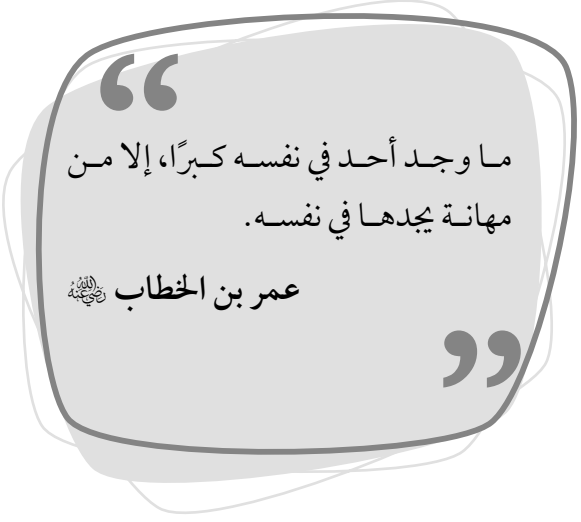
ما وجد أحد في نفسه كبرًا، إلا من مهانة يجدها في نفسه.
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

في أي عصر تحب أن تعيش؟

تخيَّل لو كانت معنا آلة الزمن، تلك الأداة السحرية التي تستطيع أن تنقلنا في ثوانٍ معدودة إلى العصر الذي نريده!

فأي عصر تحب أن تعيش فيه؟ أراك الآن تصمت قليلاً، تجول بخاطرك بين كل العصور، ثم ترسم ابتسامة خفيفة على وجهك، وتقول بشوق حقيقي: "أحب أن أعيش في العصر الفلاني".

بالطبع منا مَن سيختار السفر إلى عصر الحبيب محمد ﷺ، فمن يحلم أن يراه وينعم بصحبته؟! أو زمن البطل صلاح الدين يوسف بن أيوب (532 - 589 هـ) وكفاحه من أجل تحرير القدس، أو زمن المسلمين في الأندلس، أو حضارة الفراعنة التي أبهرت العالم، أو قاهرة الأربعينيات التي طالما أبهرت القلوب بجمالها وهدوئها ونظافتها.. تلك بحق هي أيام الزمن الجميل!

كلٌّ منا سيختار الزمن الذي يراه أفضل ما مرَّ على الأرض من طهارة ونقاء، أو شجاعة وفروسية، أو تحضُّر وعلم.

لكن، مهلاً قارئي الحبيب، فالسؤال السابق ليس إلا فخًّا يُخفي في داخله وسيلة للهروب من الواقع الذي نحياه، وربما

كان اعترافًا بعجزنا عن تجميل الدنيا التي خلقَنا الله من أجل تعميرها، حتى إذا طوى الموتُ صفحة حياتنا، تركناها أجمل مما كانت عليه قبل مجيئنا.

الشيخ محمد الغزالي (1917 - 1996) وُجِّه إليه السؤال نفسه: لو خُيِّرت قبل مجيئك إلى الدنيا في العصر الذي تختاره لتحيا فيه، فأي عصر كنت تفضل؟!

كانت إجابة الشيخ بسيطة ومدهشة، فإن إيمانه بربه وثقته باختياره يجعلانه لا يختار إلا ما اختاره الله: "فأنا راضٍ بهذا العصر الذي شاء ربي إيجادي فيه".

وعلَت الدهشة وجه سائله، فقال للغزالي: "حسبناك ستطلب الوجود في عصر الصحابة!".

فقال الشيخ: "إن عصر الصحابة هو خيرة العصور وهم سلفنا الصالح، ومع ذلك فإن النبي ﷺ ودَّ لو يرى إخوانه! فقال له الصحابة: "ألسنا إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواني الذين يجيئون بعدي، آمنوا بي ولم يروني!"، ولهذا فإن الذين يؤمنون بالإسلام ونبيه في هذا العصر ويحافظون على شعائر الدين لهم عند الله مكانة صالحة، والرجولة الحقة تكون باستغلال الواقع المتاح في إدراك منزلة حسنة عند الله ﷻ".

لقد وضع الشيخ بحكمته أيدينا على أساس القضية، فالرجولة هي أن نستغل الواقع المُتاح لندرك منزلة عند الله، فلا نهرب من حياتنا إلى عصور قديمة خلت، فقد قدَّر الله لنا أن نأتي إلى هذا الزمان، والمؤمن الحق هو مَن وقف في وجه أمواجه العاتية، لا تهزه ولا ترهبه، وإنما يطوعها لإصلاح واقعه، ليصبح أنقى وأفضل، وتلك هي رسالتنا.

وذلك ما فعله المسلمون في الأندلس، فقد كان الإسبان النصارى يسيطرون على الشمال، حيث الأنهار الضخمة، والمزارع الشاسعة التي تُرعى فيها الماشية الكبيرة والأغنام الوافرة الصوف، والخيول كبيرة الحجم، بينما كان نصيب المسلمين أوسع مساحة، ولكنه الأفقر من حيث الأمطار والمعادن.

لكن المسلمون بجدهم واجتهادهم حوَّلوا الأندلس إلى مساحات شاسعة من بساتين الفاكهة.. لم يتركوا شبرًا إلا استصلحوه، حتى إنهم أجروا المياه إلى الجبال لتصبح مروجًا زاهرة، وفي الوقت الذي كانت فيه لندن مجرد قرية صغيرة كانت قرطبة ترسل أشعتها الحضارية لتوقظ أوروبا من سباتها العميق، ويصف الكاتب الأمريكي "ويل ديورانت" حضارتها بأنها فخر لكل بني الإنسان.

واليوم إذا أردنا التقدم، فلا يجب أن ترسو سفننا عند شواطئ الماضي، بل لا بد أن نستلهم منه ما يزوِّدنا لرحلة الحاضر والمستقبل، وبديلاً عن البكاء على الأندلس فلنحوِّل بلادنا إلى أندلس جديد في حضارته وزراعته وصناعاته وعلومه.

والحاضر مهما كانت شروره ومنغصاته، لا يجب أن نرفضه.. ولنأخذ بقول الفيلسوف الألماني المتفائل جوتفريد ليبنتز (1646 - 1716): "هذا العالم هو أفضل عالم يحتمل أن يكون موجودًا في الكون كله، حتى لو ساءنا منه ما نراه فيه من بعض صور الظلم والسر، المهم ألا نضعف أمام بعض صور الشر في الحياة، وأن نواصل إيماننا بأن الحياة تحمل في طياتها الخير والشر".. وإذا كنا لا نستطيع أن نختار الزمن الذي نأتي فيه، فإننا نستطيع على الأقل أن نختار حياتنا الشخصية وأصدقاءنا وأصحابنا واهتماماتنا.

الكاتب الاسكتلندي روبرت لويس ستيفنسون (1850 - 1894) كان يقول إن هناك يومين لا يجب أن ننشغل بهما؛ أحدهما هو الأمس بكل ما حمله من أحداث وأخطاء وآلام ومتاعب، فالأمس ذهب ولن يعود أبدًا، ولو بذلنا كل أموال الدنيا ما استطعنا أن نمحو كلمة واحدة قلناها، أو أن نصحح خطأً ما وقعنا فيه، لقد ذهب الأمس، فلندعه حيث هو. وأما اليوم الآخر، فهو الغد بكل ما يحمل من احتمالات ومفاجآت وأعباء.. إنه أيضًا يوم لا نعرف ماذا سيحدث لنا

فيه، وماذا سنفعل نحن به، كل ما نعرفه أن الشمس ستشرق معه في الصباح.. وربما تكون السماء صافية، وربما تحاول السُّحب أن تحجب عنا أشعتها الدافئة.

هذان هما اليومان...

بقي بعدهما اليوم الذي نحن فيه، والساعة التي نحياها، واللحظة التي تمرُّ بنا، ولا بد أن ننعم بكل ساعة.. وبكل لحظة من لحظات حياتنا في يومنا، لا في أمسنا الذي ذهب.. ولا في غدنا الذي لم يأتِ بعد!

إضاءة جانبية:

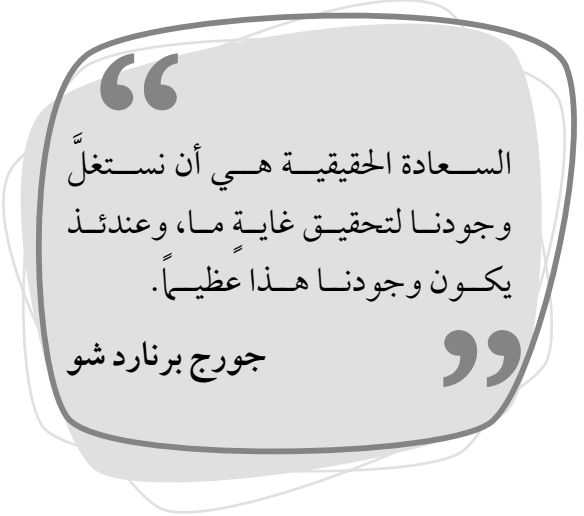

لا تدعه يأخذ من روحك

اتفق زيد وجعفر على القيام برحلة في الصحراء، للاستمتاع بالسكون الذي يلفها، وجوها الصحو، وهوائها النقي.

وخلال الرحلة، يختلف الصديقان على أمر ما، ويتجادلان، ويدخل الشيطان بينهما، يزكي نار الجدال والنقاش، فيتطاول زيد على صديقه، ويعنفه.

تسرب الحزن إلى قلب جعفر، لكنه لم يقابل إساءة صديقه إلا بأن كتب على الرمال: "اليوم أعز أصدقائي خاصمني!".

وتفرَّق الاثنان، كلٌّ في طريق، والشيطان بينهما مرح طروب.

وتتعثر قدم زيد في رمال متحركة، تبتلع كل ما يقع عليها، وتدوي صرخته تستغيث، فيطير إليه صديقه، ويمسك بيده، لتُكتب له النجاة.

وتحت ظلال صخرة ضخمة، جلس الاثنان، يأخذان قسطًا من الراحة بعد ذلك الصراع الشرس مع الموت الذي أراد اختطاف أحدهما، ويمسك زيد بحجر صلد، ويكتب على الصخرة: "اليوم أعز أصدقائي أنقذني من الموت!".

ويسأله جعفر: "عندما اختلفنا كتبت أنا على الرمال، وعندما أنقذتك كتبت أنت على الصخر!".

ويجيب الصديق: "كتابتك على الرمال ستمحوها رياح التسامح، أما صنيعك فلن تمحوه السنون".

فليس أروح للمرء ولا أطرد لهمومه من أن يعيش نظيف القلب، مُبرَّأً من وساوس الضغينة والخصام والكراهية، سريع الأوبة إلى حلمه وصفحه.

الحبيب ﷺ يقول: "لا يحق لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقَه فليسلم عليه، فإن رد السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرُد عليه فقد باء بالإثم، وخرج المسلم من الهجرة".

ففي هذا التوقيت تهدأ النفوس، وتتبخر نيران الغضب، ومن ثم كان لازمًا على المسلم أن يواصل إخوانه، وأن يعود إلى سيرته الأولى، وكأن القطيعة كانت غيمة، ما إن تجمعت حتى هبت عليها الرياح فبدَّدتها، وصفا الجو من بعد خصام.

وتلك المنزلة لا ينالها إلا أصحاب القلوب المشرقة على المحبة، المفتحة مشاربها على حب الصحبة والحياة.

فقد سأل الصحابة الحبيب ﷺ: "يا رسول الله أي الناس أفضل؟".

قال: "**كل مخموم القلب صدوق اللسان**".

قالوا: "صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟".

قال: "هو التقي النقي، لا إثم عليه ولا بغي، ولا غل ولا حسد".

فإن الخصومة إذا قويت جذورها، وتفرعت أشواكها زاحمت أزهار الإيمان، وأذبلت أوراق المحبة، ووأدت الحنان والسلام.

وكثيرًا ما تجنح الخصومة بأصحابها، فتضيع معها حكمة العقول، وخبرة السنين، فيرتكب الإنسان حماقات، ما كان ليقع فيها، ولا ينظر أصحابها إلا من زاوية داكنة، لا ترى إلا كل عيب، ولا تبصر إلا بكل نقيصة، وتلقي بستارة سوداء على الفضائل والمحاسن، وتمسك بمنظار يضخم الخطأ البسيط.

أما القلب المشرق، فإن الله يزرع فيه الخير، ويؤوب سريعًا إلى العفو والصفح، فينعم مَن يعيش حوله، ويستظلون بظلال محبته، وقد يفيء إليها في يوم من كان له عدوًّا!

القارئ لقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:47]، يجد فيها البشري لمن كان صافيًا، ذلك أن صفاء القلب هو من صفات أهل الجنة.

فهنيئًا لأصحاب القلوب البيضاء المشرقة.

لكـن، مـاذا لـو خاصمـك أحـد وبغـى عليـك، وقطـع مودتـك بغـير ذنـب جنيتـه، وحـاول إصـلاح مـا بينكـما فاسـتمر في غيـه، وكان القـرار بالفـراق، وعـدم الالتقـاء؟

يقـدم لـك أسـتاذنا عبـد الوهـاب مطـاوع نصيحتـه: "**لا تشـغل نفسـك بلعنـه وذمـه وانتقـاد أخلاقياتـه، وذكـر مثالبـه، وإنـما اعتـبِره ذرة مـن ذرات الكـون الفسـيح التـي لا تـدري بوجودهـا، فـلا تذكره أبـدًا في أحاديثـك قادحًـا ولا مادحًـا، ولا تسـمع مـا يـسيء إليـه، أو مـا يشرفـه، وإنـما تجاهـل وجـوده تمامًـا في الحيـاة إلى أن يرجـع عـن غيـه، ويصلـح أخطـاءه معـك أو يعتـذر عنهـا**".

فادخِـر اللحظـات العابـرة التـي يطـوف خلالهـا ذهنـك بالتفكـير فيـه، وفيـما اقترفـت يـداه، للتفكـير فيمـن تحبهـم، واسـتعِد رنـين أصواتهـم، فهـؤلاء وحدهـم مَـن يسـتحقون أن يشـغلوا فكـرك، ويملـؤوا خواطـرك.

أمـا هـؤلاء الذيـن أسـاؤوا إليـك، فـلا يسـتحقون أن يمـر طيفهم في مخيلتـك، ولـو حتـى بنيـة الانتقـام منهم.

لأننـا عندمـا نكـره أعداءنـا نعطيهـم، دون وعـي، سـلطانًا علينـا، وعـلى نومنـا وسـعادتنا. ولـو علمـوا مقـدار إزعاجهـم لنـا لرقصـوا فرحًـا وطربًـا، والواقـع أن كرهنـا إياهـم لـن يؤذيهـم أبـدًا، وإنـما هـو يسـمم أرواحنـا، ويحيـل لياليـنا إلى جحيـم، ولـو أهملناهـم،

لأكلوا أنفسهم غيظًا، واحترقوا هم بنيران الخصومة، "فالنار تأكل بعضها.. إن لم تجد ما تأكله"، كما يقول الشاعر العربي.

إضاءة جانبية:

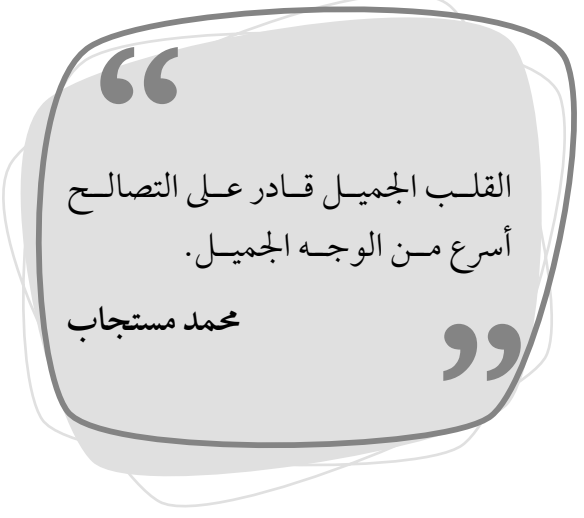

استمِتع بكل لحظة في حياتك

الإنسان في كل العصور، يظل يحلم بواقع أفضل من واقعه، ويتحرك في اتجاه الحلم.. لكنه يخسر إذا ضحى بواقعه آملاً في مستقبل أفضل، مؤجلاً سعادته وهناءه إلى تحقيق ما تصبو إليه روحه، فإن تسويف السعادة يقتل جمال اللحظة التي نعيشها، والسعادة رحلة وليست محطة نصل إليها، هي في تعبنا وكدنا في سبيل تحقيق آمالنا، لذلك فلا وقت أفضل كي تكون سعيدًا أكثر من الآن، أكثر من اللحظة الحاضرة.

ومذاق النجاح لا نتذوقه جرعة واحدة حينما نحققه، وإنما نرتشفه قطرات حينما نستمتع بتلك اللحظات التي تبرق فيها حبات العرق على جباهنا، بذلك الخدر اللذيذ الذي يسري في أجسامنا كلما بذلنا جهدًا يقربنا خطوات من أحلامنا.

انظر إلى الفلاح وهو يمسك بيد حانية البذرة ويضعها في أحضان الأرض، ويهوي بفأسه يقطع الحشائش من حولها، ويهيئ لنبتته سبيل الحياة، وعلى مدى أيام وأسابيع يستمتع بمرآها وهي تكبر وتستوي على عودها، وحينما يأتي موعد

الحصاد يهنأ بالجائزة الكبرى، وتدر عليه أرضه فاكهة وحبوبًا وخضراوات تسر الناظرين وتشبع الجياع.

أستاذنا عبد الوهاب مطاوع (1940 - 2004) ينبهنا لأهمية اللحظة الراهنة بقوله: "علينا ألا ينسينا التطلع إلى المفقود، الشكر على الموجود، وإدراك قيمته، والقدرة على الاستمتاع به".

والموجود وهبنا الله منه الكثير، بما أفاض علينا من أسباب السعادة والجمال! ونحن أغنى أغنياء الكون، بتلك الأقمار التي تدور في الأفلاك، والنجوم التي تزين السماء، والشمس التي تهزم الظلام، وتغذي الأشجار الوارفة والأزهار المتفتحة، وتحرك الرياح والنسائم المنعشة.

وكم هي جميلة تلك الأبيات التي يشدو بها شاعرنا المبدع إيليا أبو ماضي (1889 - 1957) حينما يقول:

كَمْ تَشْتَكِي وَتَقُولُ إِنَّكَ مُعْدِمُ وَالْأَرْضُ مِلْكُكَ وَالسَّمَا وَالْأَنْجُمُ؟
وَلَكَ الْحُقُولُ وَزَهْرُهَا وَأَرِيجُهَا وَنَسِيمُهَا وَالْبُلْبُلُ الْمُتَرَنِّمُ

يروي الكاتب الإنجليزي جون كوبر بويز (1872 - 1963) تلك القصة التي أثرت في نظرته للحياة، فقد قرر يومًا أن يهرب من المدينة بضجيجها وضوضائها إلى أحضان الريف، ولم يكد يبلغ الطريق حتى هطلت الأمطار بغزارة كأنها الطوفان وتوقف محرك السيارة، فنزل منها ليحتمي بكوخ مهجور..

وأشعل بعضًا من الحطب محاولًا إعادة الدفء إلى أطراف جسمه، وقضى ليلة طويلة مظلمة ينصت فيها لخبطات المطر فوق الكوخ!

وحينما توقفت الأمطار، فتح باب الكوخ، حاملًا حذاءه في يديه، وجسمه يرتعش من البرد، ويشعر بالتعاسة وهو يخوض في الوحل بخطوات متثاقلة، وعندما اقترب من سيارته سمع صوت ضحكات مرحة تنطلق من شفاه زوجين شابين وكأنهما يعيشان داخل الجنة، وحينما علما أن السيارة تخصه شكراه، لأنها كانت ملجأهما في تلك الليلة الممطرة، ولاحظت الزوجة الشابة كآبته فسألته: "لماذا تبدو حزينًا كئيبًا هكذا؟".

قال: "وماذا تتوقعين مني بعد هذه الليلة العصيبة التي قضيتها وحدي وسط الأمطار والعواصف في هذا الكوخ الحقير؟!".

وردت الزوجة: "ألا تظن أنك أسعد حالًا منا؟ ثم لقد بدأت السحب تنقشع.. توقفت الأمطار.. انظر!".

يقول بويز: "ورفعت بصري إلى السماء، وأحسست برعشة قوية تسري في جسدي، كان هناك خيط رفيع من الضوء يتسلل من وراء السحب التي بدأت تختفي وتتلاشى، بدا كأنه شعاع من ذهب يلمس في رفق غضون الأشجار العارية من حولنا، وعلى الأرض تحت أقدامنا بدت الحشائش الصغيرة تلمع

وتضيء كلما اتسع نطاق هذا الشعاع الذهبي فوق قطرات الماء التي كانت ترتجف وتتساقط على الأرض بعد أن ظلت عالقة عليه، حتى الطريق بدا نظيفًا بعد أن غسلته تلك المياه الدافئة.. وفجأةً شاهدت تلك الألوان الرائعة الجميلة التي حملها قوس قزح، وأحسست بالحياة تعود إليَّ، الدفء يسري في أطرافي، وفجأةً امتلأ المكان من حولنا بالضحكات!".

هذه هي الحياة التي لا بد أن نحياها، أن تهتز أرواحنا حينما يداعب النسيم أوراق الأشجار، أن نسر لمرأى طائر يغرد فوق الأغصان، لمرأى الندى يتوِّج الأزهار.

كتب ذو النون المصري (796 - 861 م) صلاة رائعة تلخص هذا التوجه: "يا إلهي، عندما أنصت لأصوات الحيوانات، ولخفيف الأشجار، وخرير الماء وغناء الطيور، وهدير الرياح، وهزيز الرعد أري فيها دليلاً على وحدانيتك".

قد يهز أحدكم الآن رأسه، ويتهمني بأني أكتب عن عالم لا يوجد إلا في صفحات الكتب!

الحق أقول لكم إن الاستمتاع بالحياة قد يراه المؤمن حتى في لحظات الألم! يراه في الغد الذي يمكِّنه الله فيه من تحقيق أحلامه وطموحاته في تشكيل عالم أفضل.

أتدورن أشد يوم على الحبيب ﷺ؟!

هو يوم الطائف، استقبله أهلها بالسوء، وأغروا عليه صبيانهم يقذفونه بالحجارة حتى سال الدم من قدمه، تلك الأقدام التي حملته 50 ميلاً تحت شمس الصحراء ليدعوهم للهدى، فلا يقابلونه إلا بالأذى!

وفي طريق عودته يأتيه ملك الجبال، يستأذنه أن يطبقها على مخالفيه، فيرفض الحبيب، وكأنه يرى المستقبل.. متجاوزًا قسوة اللحظة التي يحياها: "**لا.. عسى الله أن يخرج من أصلابهم مَن يعبد الله**".

وبعد أيام قليلة يكافئه الله، بأعظم رحلة نالها إنسان، رحلة الإسراء والمعراج.

فاستمتع بالحياة، ولا تعلِّق سعادتك على حادث مستقبلي قد يكون أو لا يكون، فتفيق بعدما قطع قطار العمر أكثر رحلته!

إضاءة جانبية:

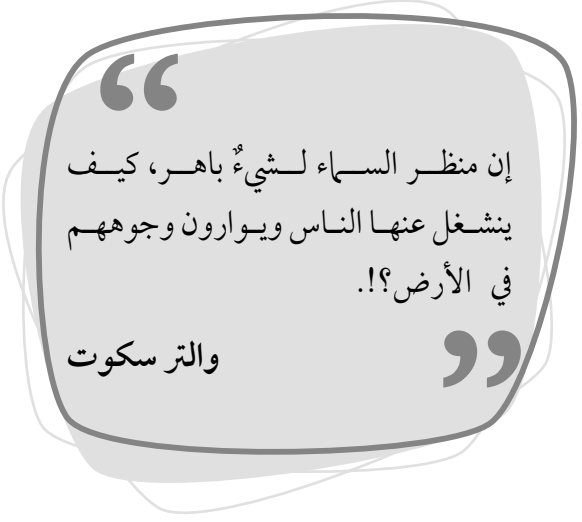

ما نريده وما يريده الله لنا

كان شيخ كبير يعيش في قرية بسيطة بالصين، ففرَّ جواده الوحيد يومًا، فجاء جيرانه يواسونه في مصيبته وحظه العاثر، فقال لهم بحكمة السنون: "ومَن يدريكم أنه حظ عاثر؟".

وبعد أيام قليلة رجع الجواد إلى القرية مصطحبًا معه عددًا من الخيول البرية، فجاء أهل القرية يهنئونه على هذا الحظ السعيد، فقال لهم: "وما أدراكم أنه حظ سعيد!".

ولم تمِض أيام حتى سقط ابنه من فوق صهوة أحد الجياد البرية، وجاء جيرانه يواسونه في هذا الحظ السيئ، فأجابهم الشيخ بلا هلع: "مَن أداركم أنه حظ سيئ!".

ولم تمِض أيام حتى أعلن الحاكم الحرب وجنَّد شباب القرية، وأعفت السلطات ابن الشيخ، وهلك في الحرب شباب عديدون!

وهكذا أخذ الحظ العاثر يمهد لحظ سعيد، وهذا بدوره يسلم إلى حظ سيئ، إلى آخر ما تقصه علينا تلك الأسطورة الصينية.

وأحسب أن الحياة كتلك الأسطورة، ينقلنا فيها القدر من حال إلى حال، وأهل الحكمة لا يغالون في الحزن لما أصابهم، ولا لشيء فاتهم، لأنهم لا يعرفون علم اليقين إن كان فواته أهو شر خالص، أم هو خير خفي، أم أراد الله أن يجنبهم به ضررًا أكبر!

كذلك لا يتيهون فرحًا لخير أصابهم، بل منهجهم الاعتدال والتوسط، يحمدون السماء دائماً على ما تعطيه من أقدار.

فمن الجميل أن نفرح ونحزن، وتلك طبيعة الحياة، لكن هو الاعتدال في الشعور بالفرح والحزن، فلا تطرُّف وغلو في أحدهما، وتعلقنا دائماً بالسماء نشكرها على ما تقدمه لنا من أقدار، وإذا تعلمنا هذا الدرس واجهنا الحياة بصدر لا يخشى مكائد الأعداء، ودسائس الحاقدين، فإن الشر الذي يدبرونه قد يصيره خالقنا إلى ما فيه الخير لنا.

الدكتور سليم حسن (1886 - 1961)، عالم الآثار الشهير، وأحد أوائل المصريين الذين أسسوا علم الآثار المصرية في اللغة العربية، عمل وكيلاً لمصلحة الآثار المصرية عام 1936، فكان أول مصري يشغل هذا المنصب.. وأثار هذا عليه حفيظة بعض العلماء فعملوا ضده.

وكان قد اتصل بالقصر الملكي لاسترداد بعض القطع الأثرية التي كانت في حيازة الملك فؤاد الأول، فأعادها الملك

إليه لعرضها في المتحف المصري، لكن عندما تولى فاروق الحكم طالب باستعادة تلك القطع باعتبارها من الممتلكات الملكية، فرفض الدكتور سليم حسن، فكان هذا سببًا في زيادة المؤامرات عليه، انتهت بصدور قرار بإحالته إلى المعاش عام 1939 وكان عمره آنذاك قرابة 46 عامًا.

ولم يدرِ حساده أن هذا القرار كان فاتحة الخير عليه، حيث تفرغ للبحث العملي، وكتب عديدًا من الكتب التي ما زالت مراجع في علم الآثار المصرية، ويقف على قمتها موسوعته "مصر القديمة" بأجزائها ال61، وترجمته إلى كتاب "فجر الضمير"، وكتابان عن الآداب والفنون لدى الفراعنة، بالإضافة إلى البحوث العملية التي تنشر اكتشافاته باللغات: الفرنسية والإنجليزية والألمانية!

أما صاحبنا الذي سنقص عليك حكايته الآن، فكان شرطيًّا في عهد الدولة الأموية، وإن شئت الدقة، فقل كان قاطع طريق في زي شرطي، قاسيًا على البشر، مغرمًا بقوته وغلظته، كأنه يحمل في صدره صخرًا لا قلبًا، مدمنًا على الخمر.

ويوما كان يقف في سوق المدينة، فرأى نزاعًا بين مشترٍ وبائع، وسمع المظلوم يقول للظالم: "لقد سلبتني فرح بُنيَّاتي"، وطمع الشرطي في دعوة صالحة من البنيات المسكينات فانتصر للرجل.

ووقع في قلبه الزواج، ورزقه الله طفلةً أنارت حياته، فشغف بها قلبه، وظهرت له فيها الإنسانية الكبيرة التي ليست فيه، كأن ولادتها كانت ولادة نفس جديدة له، فانتقل من الاستهتار والمكابرة إلى الندم والتأثم، لكنه لم يقدر على مغادرة الخمر نهائيًّا، فأصبح يشربها مرة ويتركها مرارًا.

ولم تدُم السعادة طويلاً في بيته، إذ هجرته طيورها بعدما اختطف الموت بنيته وهي في عمر عامين.. فكانت كالوردة نبتت تحت ضوء القمر، وزادها ندى الفجر جمالًا، ثم ذوت سريعًا تحت حرارة الشمس!

وتساءل صاحبنا عن حكمة السماء في رحيل ابنته.. أهذا هو جزاء توبته واعتداله؟! ألهذا الحد السماء عليه قاسية؟!

ورجع الشرطي إلى شر مما سابق عهده من الشر، وكانت أحزانه هي أفراح الشيطان! ولم يدرِ صاحبنا أن رحيل ابنته كان بداية خير غزير، وأنها ستأخذ بيده إلى الصلاح والهدى والجنة.

كانت ليلة النصف من شعبان، وفيها بات ثملاً من الخمر، فرأى كأن القبور قد أخرجت من فيها، وسيق الناس إلى الحساب.. فإذ هو بتنين عظيم يرسل الموت من عينيه.. فيجري فزعًا بين يديه.. فإذ هو بشيخ هرم يكاد يموت ضعفًا.. فيقول له: "أجِرني وأغِثني"، فيرد الشيخ: "أنا ضعيف كما ترى".

ويلجأ صاحبنا إلى دار عظيمة، يقف في شرفاتها أطفال كالأقمار، ويقترب التنين منه ويصير في هواء جوفه، فتصايح الأطفال: "يا فاطمة.. يا فاطمة".

وتأتي ابنته، وتمد إليه يدها فتنتشله، وبيدها الأخرى تحجب التنين فيولي هاربًا.. ثم تجلس في حجره وتقول: "يا أبتِ.. التنين هو عملك الخبيث، أنت قوَّيته حتى بلغ هذا الهول، والشيخ الهرم هو عملك الصالح حينما انتصرت للرجل في السوق.. يا أبت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد:16].

وينتبه الشرطي من نومه...

وتعرف مساجد مدينة البصرة من بعدها عالمًا زاهدًا هو مالك بن دينار رضي الله عنه.

فلنتقبل أقدارنا بشجاعة، ولنقُل مع الإمام الحسن بن علي: **"مَن اعتمد على حسن اختيار الله له.. لم يرضَ بغير ما اختاره الله"**.

بل هم الكرار إن شاء الله

في معركة مؤتة الشهيرة تقابل جيش المسلمين، وتعداده ثلاثة آلاف مقاتل، مع جيش عظيم من الروم بلغ تعداده مائتَي ألف.

كان الموقف حرجًا للغاية، ووقف المسلمون يتشاورون، فجيش العدو يفوقهم سبعين مرة، وبمقاييس الحروب.. سيُفنى جيش الإسلام ويُباد عن آخره.

ومن ثم قرروا أن يكتبوا إلى النبي ﷺ في المدينة يستشيرونه، غير أن عبد الله بن رواحه رضي الله عنه، وكان شاعرًا جياش الإحساس، وقف بين الجيش وقال: "والله.. ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به.. فانطلِقوا فما هي إلا إحدى الحسنيَين: إما ظهور وإما شهادة".

وهجم القوم يخترقون صفوف الروم، ويتقدم زيد بن حارثة فيرتقي شهيدًا، فيتبعه جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحه.. وتكالب الروم على المسلمين، طمعًا في استئصالهم، حتى اصطلح المسلمون على تولية القيادة لخالد بن الوليد.

وحمل خالد الراية.. لا ليستأنف القتال، لقد أدرك بخبرته العسكرية أن هذه ليست الحرب المرجوة، وأن المهارة كلها في أن يستطيع الانسحاب بمن معه.

وعاد الجيش إلى المدينة المنورة.

فماذا كان موقف الناس؟

كانوا يحثون عليه التراب، ويقولون: "يا فرار.. فررتم من سبيل الله!".

أما النبي فكان يبتسم ويقول: "بل هم الكرار إن شاء الله"، أي سيعودون مرة أخرى بعدما يستجمعون طاقتهم من جديد.

إن مما يغيب عن ذهن بعضنا أن معارك الحياة كر وفر، وهجوم ودفاع، ومبادرة وسكون، المهم أن تكون خطوتنا تلك -أيًّا ما كانت- خطوة محسوبة ومدروسة جيدًا في سبيل الوصول إلى هدفنا وغايتنا التي نرنو إليها.

فليس الضعف ذنبًا، بل يمكن أن يصبح قوة إذا تعلمت كيف تستخدمه بشكل صحيح، وانحناؤك أمام العدو يعطيك فرصة لتعويض الخسارة، واستعادة العافية، ووقتًا للتفاوض، ووقتًا للانتقام.. فلا تهدر ذلك في معركة لا تستطيع أن تكسبها. والوقت دائماً سيكون في صالحك، فالحظوظ تتغير، والأقوياء اليوم يصبحون ضعفاء غدًا.

وهـذا هـو جوهـر خطـة الاستسـلام التـي يقدمهـا لنـا روبـرت جريـن في كتابـه "كيـف تمسـك بزمـام القـوة"، فذلـك التكنيـك يُبقـي عـلى صلابتـك مـن الداخـل، ولكنـك مـن الناحيـة الخارجيـة تنحنـي، وبذلـك تحـرم خصومـك مـن سـبب يدعوهـم للغضـب، فيشـعرون بالحـيرة عـلى الأغلـب مـن موقفـك، وتهـدأ ثـورة الانتقام في داخلهـم، وتبـدأ أنـت في تحركاتـك المضـادة التـي ستسـقطهم.

وهـذا مـا فعلـه خالـد بـن الوليـد، فقـد غلَّـب حكمتـه عـلى حماسـته، مـدركًا أن اسـتمرار الحـرب يعنـي الفنـاء المحتـوم لتلـك القلـة المؤمنـة، ممـا يعنـي ضيـاع قـوة المسـلمين الحربيـة، وتبخُّـر سُـمعتهم العسـكرية أمـام قبائـل العـرب.

وبعدهـا بشـهور تحققـت نبـوءة النبـي، وعـاد يقـود جيشًـا جـرارًا للمسـلمين بلـغ تعـداده 30 ألـف مقاتـل، ومـا كاد الـروم يتسـامعون بمسـيره حتـى عزفـوا عـن مواجهتـه، وتحصنـوا داخـل دولتهـم، بعدمـا طـاف بخيالهـم ذكـرى معركـة مؤتـة، ومـا أحدثتـه قلـة مـن 3 آلاف بجيشـهم الضخـم، فكيـف لهـم الآن أن يواجهـوا 30 ألـف مـن أولئـك الأبطـال! فـكان انتصـار المسـلمين في "تبـوك" امتـدادًا "لانتصارهـم " في معركـة مؤتـة.

لهـذا عندمـا تدخـل معركـة تكـون فيهـا أنـت الأضعـف، فإيـاك أن تقاتـل قتـال المسـتميت، واختـر الاستسـلام بـدلًا مـن ذلـك،

فالاستسلام يعطيك فرصة لاسترداد عافيتك، ووقتًا لتعذيب خصمك وإزعاجه، ووقتًا لانتظار تضاءل قوته.. فلا تعطِه متعة إشباع رغبته بمقاتلتك وهزيمتك.. فلأن تُهزم في معركة خير لك من أن تخسر حربًا.

لست أدعوك بذلك إلى الاستسلام بشكل حقيقي فعلي، وإنما هو انسحاب، واستسلام وانحناء ظاهري، فمن يستسلم كليًّا لعدوه يتخلى عن حريته ويلحقه عار هزيمته المُذلة.. استسلِم ظاهريًّا فقط.. وكن كالحيوان الذي يتماوت أمام خصمه لكي ينقذ روحه.

لكنك حينما تخوض غمار "أُم المعارك"، أي تلك المعارك الفاصلة التي يتغير عندما مسار التاريخ، فابذل ما في وسعك.

قارِن الآن بين هذين المشهدين...

في معركة أحد، حينما دارت الدائرة على المسلمين، انسحب النبي ﷺ وأصحابه إلى الجبل، يحتمون به من سيوف المشركين، ريثما يستعيدون قوتهم، وينظمون صفوفهم.

وفي اليوم التالي للمعركة تعقَّب المسلمون جيش مكة، يريد الاشتباك معه في قتال، فكان حدثًا غريبًا أن يطارد المغلوب المنتصر!

أما في معركة "حنين"، وبعدما فرَّ جيش الإسلام أمام هول المفاجأة التي أعدتها هوازن وثقيف، فقد ثبت النبي ﷺ ومعه قلة من المسلمين مناديًا بأعلى صوته: "أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب".

لهذا، فعندما يدفعك شخص، لا تقاوم، ولا ترد بقتال، انحنِ، استسلِم، وأدِر له الخد الآخر.. فعلك ذلك سيزلزل عدوك.. يأخذه على حين غرة.. فيحيره انعدام مقاومتك لهم.. وباستسلامك تسيطر على الموقف، وهو جزء من خطة أكبر كي يعتقدوا أنهم قد هزموك.. وتبدأ أنت في تحركاتك المضادة التي ستسقطهم.

وهذا هو تكنيك الذكي ضد الوحشي.

في الصين القديمة، تلقَّى حاكم مقاطعات "يوو"، هزيمة ساحقة من حاكم ولاية "وو"، فأراد الهرب والفرار، لكن مستشاره طلب منه أن يستسلم ويضع نفسه في خدمة عدوه.. ومن هذا المنطلق يستطيع أن يدرس خصمه عن قرب.

فقرر جوجيان أن يتبع هذه النصيحة، فأعطى ثروته كلها لذلك الحاكم، وعمل ثلاث سنوات في إسطبلات عدوه، كأي خادم متواضع الشأن، حتى اقتنع بولائه في آخر الأمر، وسمح له بالعودة إلى وطنه، غير أن جوجيان أمضى تلك السنوات في جمع المعلومات والتخطيط للانتقام.

وعندما أصيبت "وو" بجفاف شديد وأضعفتها اضطرابات داخلية، حشد جوجيان جيشًا وغزاها فانتصر بسهولة.

تلك هي القوة الكامنة وراء الاستسلام، إنه يعطيك الوقت والمرونة لتخطيط ضربة معاكسة مدمرة.

فالشجرة التي لا تنحني للأنواء والرياح تنكسر.

إضاءة جانبية:

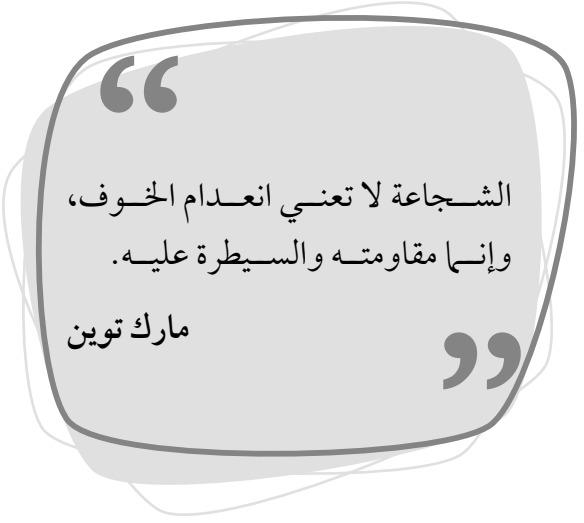

يا دنيا غُرِّي غيري.. هل أنت من الغير؟

كنت أبثه شكواي في أمر ألاقيه، وأن جهد عامين يكاد يضيع.. فوضع يده على كتفي وقال مخففًا عني: "لا تحزن على شيء!".

وأردف حديثه بكلمات كانت سببًا في كتابة تلك الصفحات: "عليك أن تسأل نفسك كل يوم.. هل زاد إيماني أم لا.. فإذا كانت الإجابة الثانية.. هنا عليك أن تحزن!".

كل خسارة في الدنيا يمكن تداركها، كل شجرة غرستها وذوت قبل أن تتذوق ثمارها يمكن غرس أفضل منها في مكان آخر أكثر ملاءمة، متجنبًا الأخطاء التي تعثرت فيها خطواتك.. أما الآخرة، فلا تعويض، لا مكان للفرصة الثانية، فهي دار الجزاء، دار الحساب على ما قدمنا.

في هذا المعنى، يدهشنا الدكتور مصطفى محمود (1921 - 2009) ﷺ بقوله:

"ابكِ ما شئت من البكاء.. فلا شيء يستحق أن تبكيه.. لا فقرك ولا فشلك ولا تخلُّفك ولا مرضك.. فكل هذا يمكن تداركه، أما الخطيئة التي تستحق أن تبكيها، فهي خطيئة البعد عن إلهك".

إنني أهيب بك ألا نقع -أنا وأنت- في شراك الدنيا، فتلهينا عن أن عمرنا على الأرض لا بد أن ينطوي سجله في يوم، وبعدها نُعرَض على الخالق سبحانه للحساب على ما قدمت أيدينا، فلا مال ينفعنا جمعناه من معصية الله، ولا ترقٍّ في عمل يعوضنا.

فطعم النجاح في الدنيا يسكر القلوب، ويُعمي الأبصار، ولا ينجو من سحره إلا القليل ممن علَّقوا قلوبهم بالسماء.. فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تأتيه الوفود من أركان دولة الإسلام التي ترامت في عهده، فيدخل نفسَه شيءٌ من عظمة السلطان، فيسرع إلى قربة الماء يحملها -وهو خليفة المسلمين- ليكسر نفسه.

وهذا شيخنا الجليل الشيخ الشعراوي (1911 - 1998)، يلقي درسًا من دروسه، فينتزع إعجاب المصلين، وتحيط الجماهير بسيارته، ويرفعونها من على الأرض.. ويدخل نفسَه شيءٌ من الدنيا، فيطلب من ابنه أن يتوقف بالسيارة عند أحد المساجد، ويتأخر بداخله، وحينما يبحث عنه ابنه يجده ينظف حمام المسجد، فيسأله: "**لماذا** تفعل هذا؟"، فيجيب الشيخ الجليل: "**لما رفع الناس السيارة شعرت بنوع من الحب، حب النفس، فأحببت أن أذل نفسي وأربيها بتنظيف بيت الله!**".

هـؤلاء رجـال نجحـوا بإيمانهـم في الإفـلات في غوايـة الدنيـا، حتـى إن الفـاروق عمـر كان يتحـدى الدنيـا قائـلاً لهـا: "يـا دنيـا غُـرِّي غـيري".

وأخشـى يـا صديقـي أن نكـون مـن هـذا "الغـير"، أن يشـغلنا نجاحنـا الدنيـوي عـن الآخـرة، أو تتسـلط علينـا همـوم الدنيـا، ومعركـة البحـث عـن لقمـة العيـش، فنقـضي عمرنـا في لهـاث مسـتمر، ثـم نُفاجَـأ بانقضـاء رحلـة العمـر!

وحتـى لا نقـع في شراك الدنيـا يقـدم لنـا الحبيـب ﷺ الشـفاء في كلـمات نورانيـة:

"من كانت الآخرة همه..

جعـل الله غنـاه في قلبـه، وجمـع عليـه شـمله، ثـم أتتـه الدنيـا وهي راغمة..

ومن كانت الدنيا همه..

جعـل الله فقـره بـين عينيـه، وفـرَّق عليـه شـمله، ولـن يأتيـه مـن الدنيـا إلا مـا قُـدِّر لـه".

هـذا المعنـى إذا تمكـن مـن النفـوس مدَّهـا بالقـوة عـلى مواجهـة صعـاب الحيـاة، فـلا همـوم تثقـل كاهلـك، ولا قلـق يـأكل روحـك عـلى أمـر فاتـك في الدنيـا، بـل هـو تسـليم لله، وتـوكُّل عليـه.

الأمر إذن يحتاج إلى توازن واعتدال، فلا الدنيا نتركها بدعوى أنها دار لهو وزوال، ولا الآخرة نتغافل عنها.

يقول الدكتور عبد الكريم بكار: "من الصعب أن نعرف جوهر السعادة وجوهر الحياة الطيبة، وأن نتعامل مع حوادث الحياة بقوة ورحابة أفق، ما لم ننظر إلى الحياة الدنيا والحياة الآخرة على أنهما تشكلان فصلين في رواية، ومع أن الفصل الأول هو الأقصر والأقل شأنًا إلا أن الفصل الثاني لا يكون ولا يُقرأ إلا بعد وجوده وقراءته، وحيث لا حظ في الآخرة ولا في الجنة لمن لم يمر على الحياة الدنيا".

فالمسلم لا يجب أن يستخف بالحياة التي نحياها على هذه الأرض ما دامت تشكِّل الممر الوحيد إلى الحياة الأبدية والخالدة.

فلم يطلب الإسلام من المسلم أن يكون راهبًا في دير، أو عابدًا في خلوة، قائماً ليله، صائماً نهاره، لا حظ له في الحياة ولا حظ للحياة فيه؛ وإنما طلب من المسلم أن يكون إنسانًا عاملاً في الحياة، يعمرها ويسعى في مناكب الأرض، ويلتمس الرزق في خباياها، مخالطًا للناس

الطريف أن الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، كانوا من سادة الدنيا في المال، لكنهم تنازلوا عنه لله.

فهـذا عمـر بـن الخطـاب، ينافـس الصديـق أبـا بكـر في التـبرع بأموالـه، أمـا ذو النوريـن عثـمان بـن عفـان، فقـد كانـت فضيلتـه الكـبرى السـخاء والجـود بمالـه في سـبيل الله.

إضاءة جانبية:

ابـكِ مـا شـئت مـن البـكاء، فـلا شيء يسـتحق أن تبكيـه، لا فقـرك ولا فشـلك ولا تخلُّفـك ولا مرضك، فـكل هـذا يمكـن تداركـه، أمـا الخطيئـة التي تسـتحق أن تبكيهـا، فهـي خطيئـة البعـد عـن إلهـك.

مصطفى محمود

الوصفة المثالية للتعاسة!

بعض البشر يتصورون أن الآخرين أسعد حالًا منهم، ويعذبون أنفسهم ليس فقط بطلب السعادة، وإنما أيضًا بالأمل في أن يكونوا أكثر سعادة من الآخرين.

هؤلاء يبخسون قيمةً ما بأيديهم، ويعلقون هناءتهم بالفوز بما في أيدي غيرهم، وهو أمل مستحيل لسبب مهم، وهو أننا نعتقد أن الآخرين أسعد حالًا مما هم عليه في الواقع!

أمير القصة القصيرة أنطون تشيخوف (1860 - 1904) كتب قصة جميلة بعنوان "دموع لا يراها العالم"، تُبين أن مَن نراه سعيدًا ونغبطه على حياته الهادئة، ونتذمر على واقعنا بسببه، قد يكون هو في أتعس حال.. ويذرف دموعًا لا يراها الناس.

في الواحدة صباحًا، تخرج مجموعة من الأصدقاء من نادي بلدتهم الصغيرة، وكلهم من كبار موظفي البلدة، ويحسون بالجوع يقرص بطونهم.. وأخذ كلٌّ منهم يذكر أشهى وجبة تناولها في حياته، ناقمين على نادي مدينتهم الذي لا يتوفر فيه

إلا الـشراب والشـاي بالذبـاب!

ويحلـق حديـث الطعـام بخيالهـم، وتنتـاب أحدهـم -وكان قائـد حاميـة البلـدة- نوبـة مـن الشـجاعة، فيتخـذ قـرارًا بالذهـاب معًـا إلى بيتـه لتنـاول العشـاء والـشراب.

وهلَّـل الأصدقـاء لهـذا الاقـتراح، مـع إشـفاقهم عـلى صديقهـم مـن إزعـاج زوجتـه في هـذا الوقـت المتأخـر، يأمـر الضابـط خادمـه بـأن يذهـب إلى قبـو البيـت، ويحـضر طعامًـا لذيـذًا وشرابًـا، لكنـه يعـود بعـد قليـل، ويبلغـه أن بـاب القبـو مغلـق ومفتاحـه مع السـيدة زوجتـه.. فيقـول الضابـط: "سـأعود حـالًا.. زوجتـي أوصـدت القبـو، وأخـذت المفاتيـح.. ينبغـي أن أذهـب لإحضارهـا".

ويتزايـد الأصدقـاء بقـوة شـخصيته بينـما هـو يتسـلل عـلى أطـراف أصابعـه ليوقـظ زوجتـه النائمـة.

- صغيرتي.. استيقظي دقيقة واحدة يا صغيرتي.

- أهذا أنت؟! ماذا تريد؟

- أنـا يـا ملاكـي.. أعطينـي المفاتيـح.. وعـاودي نومـك مطمئنة.. لـن أسرف في الطعام.. سـأعطي كلًّا منهم خيارة واحدة.. أقسـم لك.

وأيقظـت رائحـة الـشراب حواسـها، فأخـذت تلعـن زوجهـا الـذي يسـهر حتـى الصبـاح في الحانـات، مهمـلاً بيتـه وأولاده، ولا

يكتفي بذلك بل ويأتي بشياطينه الملاعين ليطعمهم في بيته.

ويتوسل الزوج إليها ألا تفضحه أمام ضيوفه، مقسماً إنهم لن يسرفوا في الطعام!

وتنشب بينهما معركة تغرس فيها الزوجة أظافرها في وجهه، وتشد شعره وملابسه، فيقول لها في توسل:

- اضربي.. اضربي زوجك الوحيد.. ولكن أرجوك.. أتوسل إليك.. سامحيني.. أعطيني المفاتيح.. يا ملاكي.. يا معذبتي الشريرة لا تفضحيني أمام الناس.

ويبكي أمامها.. ويجثو على ركبتيه.. وينتهي الأمر بأن تنهض الزوجة من فراشها متذمرة غاضبة.

ويعود القائد إلى أصدقائه، راسماً علامات النصر على وجهه، ويخبرهم بأن زوجته أصرت على النهوض من فراشها لتخدم بنفسها أصدقاء زوجها الحبيب.. ويتصايح الجميع طربًا.. ما هذا الحب العظيم؟! ما هذا الإخلاص؟!

ويلاحظ أحدهم خدشًا في خد القائد فيسأله عنه، فيرد: "دخلت على صغيرتي والغرفة مظلمة، فأردت أن أخيفها.. فتعثرت قدمي!".

وعندما يخرج الأصدقاء من بيت القائد يقول أحدهم: "ما

أطيب أن تكون متزوجًا.. تأكل عندما تريد، وتشرب وقتما تريد.. وتعلم أن هناك زوجة جميلة تحبك.. وتلعب لك على البيانو.. ما أسعد صديقنا قائد الحامية!".

ويذهب المفتش صديقهم إلى بيته متحسرًا على السعادة التي حُرم منها بينما ينعم بها صديقه القائد! وتتنبه لخطواته زوجته، وتوبخه على سهره وسكره.

ويتنهد المفتش: "لا تعرفين سوى السباب! لو أنك رأيت كيف يعيش صديقنا! ما أروع حياتهم! عندما ينظر المرء إليهم يود لو يبكي من التأثر.. أنا وحدي التعيس إذ بُليت بشمطاء مثلك!".

وبات ليلته وهو يشكو في سره حظه البائس!

بعض البشر مثل ذلك المفتش، يتصور أن طيور السعادة ترفرف بأجنحتها على الدوام في حديقة الآخرين.. بينما تخلو حياته هو من تغريدها وغنائها.. دون أن يدري أن الآخرين ربما كانوا يعيشون على فوهة بركان.. يبدو خاملاً أمام الناس بينما يغلي من داخله.

مشكلتنا ليست في طلب السعادة، وإنما في رغبتنا في بلوغ "كمال السعادة".. نتطلع إلى غيرنا.. نظن أنهم الأسعد والأكثر راحة للبال.. فنطلب أن نكون مثلهم أو أسعد منهم.. وتلك

هـي "المقارنـة القاتلـة للسـعادة"!

فهـذه زوجـة تنظـر إلى زوجهـا بطـرف عينيهـا، وتنـدب حظهـا العاثـر معـه، كلـما شـاهدت عـلى شاشـات التلفزيـون الممثـل وهـو يغمـر حبيبتـه حبًّـا وحنانًـا!

وهـذا أب يسـبب التعاسـة لابنـه، حينـما يقارنـه بأقرانـه، ويكـرر عـلى مسـامعه: "انظـر إلى صديقـك كيـف تفـوق عليـك!".

هـذا الأسـلوب يزعـزع الثقـة بالنفـس، ويعطـي الشـخص شـعورًا سـلبيًّا تجـاه نفسـه، فيستسـلم حينـما يـرى نجـاح الآخريـن بينـما يعجـز عـن تحقيـق مـا وصلـوا إليـه.

والمقارنـة أيضًـا مصـدر مثـالي للتعاسـة في العمـل، كـما أكـدت دراسـة أوروبيـة نشرتهـا مجلـة "economics"، فقـد بـدا للباحثـين أن الأفـراد الذيـن يميلـون إلى مقارنـة دخلهـم بغيرهـم أقـل رضـا وسـعادة.. خاصـة إذا تركـزت المقارنـة عـلى أصدقائهـم وأقربائهـم وليـس زمـلاء العمـل.

الأفضـل لنـا أن نقـارن أنفسـنا بأنفسـنا، نرسـم صـورة إيجابيـة لأحلامنـا، ونسـعى بـكل جهدنـا لتحقيقهـا.. ولنعلـم أن البـشر يختلفـون في القـدرات والطاقـات، وأن التعاسـة هـي الفـارق بـين قدراتنـا وطموحاتنـا، وإذا كان مـن حقنـا أن نتخـذ مـن الناجحـين

قـدوة لنـا، فإننـا نخطـئ في حـق أنفسـنا حينـما نقـارن حالنـا بحالهـم ونقـول: "كـم هـم سـعداء ونحـن تعسـاء!".

إضاءة جانبية:

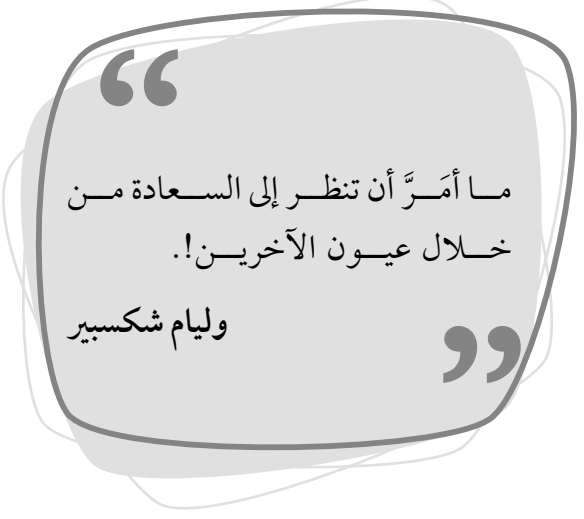

ماذا لو كان اليوم آخر عهدك بالدنيا؟

من فضلك أخي الكريم أن تتحملني قليلاً -إذا كنت ممن يرهبون الحديث عن الموت- وتخيَّل لو كان يومك هذا آخر عهدك بالدنيا!

ماذا ستفعل فيه؟!

هذه الفكرة قدمتها السينما في شكل هزلي، لكني أريدك هاهنا أن تأخذها قليلاً على محمل الجد.. ودع خيالك يسرح قليلاً.. وقل لنفسك ماذا ستفعل إذا عرفت أن ساعات قليلة باقية قبل أن يُطوى سجلك؟!

منا مَن سيقول: انقطِع إلى عبادة ربي.. أعوض ما فاتني.. أقرأ القرآن الكريم.. لأموت وأنا أتلو آياته، ما أسعدني أن أبعث يوم القيامة وأنا أتلو القرآن!

سأذهب إلى كل مَن ظلمتهم.. وأرجو منهم العفو والسماح.. فالله يتجاوز عن أخطائنا في حقه وتقصيرنا في عبادته، ولكن حقوق العباد لكي يغفرها لا بد أن يسامح فيها العباد.

سأهرول إلى أحبتي الذين أخطأت يومًا في حقهم.. أطلب من رفيقة عمري أن تسامحني على الحماقات التي ارتكبتها في حقها، وثورات الغضب التي أطلقت لها العنان وكانت الأسباب تافهة أو حتى عظيمة.. فالآن ومع اقتراب الموت لا يبدو شيء عظيماً وتبدو الدنيا على حقيقتها صغيرة!

أذهب إلى أصدقائي أودعهم...

أسامح كل من أساء إليَّ.. لا أريد أن أخرج من الدنيا وقلبي يحمل مثقال ذرة من حقد أو غل لأحد.. أريد أن أقف أمام ربي وقلبي في بياض الثلج لونًا ونقاءً. ألم يبشر الحبيب ﷺ أحد صحابته بالجنة، لأنه ينام وليس في قلبه حقد أو غل لأحد.. فلمَ لا أفوز مثل هذا الصحابي؟!

بعد تلك الرحلة في عالم الخير.. ماذا لو انقضت ساعات عمرك المتبقية، ثم عرفت أن الله منحك فرصة أخرى، وأعطاك يومًا جديدًا.. هل ستداوم على فعل الطيبات أم ستعود إلى اللهو واللعب؟!

كان، الربيع بن خيثم، أحد التابعين الأخيار، يحرص على

محاسبة نفسه كل يوم أشد ما يكون الحساب، حتى إنه ﷺ حفر في بيته حفرة، ينزل فيها وكأنه في قبره، ويبكي على ما فرط في حق الله، ويقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ [المؤمنون: 99-100].. وبعد أن يأخذ منه الندم كل مأخذ.. يصعد من حفرته ويقول فرحًا: "يا نفس ها أنتِ في الدنيا، فاعملي صالحًا".

قد يكون هناك آخرون يمقتون التفكير في الموت، ويرونه من الأحاديث السوداء، التي تظلل النفس بالكآبة.. وهو ما واجه الشاعر الكبير عمر الخيام (408 - 517 هـ) وكدر عليه صفو أيامه.. فحينما وقف طويلاً أمام الموت متأملاً، بدا له طلسماً يعجز عن كشف سره الغامض، ويقرأ رموزه الهيروغليفية. ووصف الخيام عجزه في أبيات قال فيها:

حللتُ مشاكلَ الكونِ كلَّها..

ووثبتُ من كلِّ أحبولةٍ نصبَها الخداعُ لاقتناصي..

وفضحتُ كلَّ الأسرارِ..

إلا سرَّ الموتِ.

صار الموت لغزًا يعجز الخيام عن فك شفراته، بعدما استولت عليه أسئلة فلسفية: مَن الذي يخبرني لماذا جئت إلى

الدنيا؟ وإلى أين سأذهب؟ وما هي حال الذاهبين؟ وأنتِ أيتها الروح.. من أجل أي شيء سكنتِ في هذا البدن، ما دمتِ تنوين الرحيل على أي حال؟ وماذا كان قصد مَن خلقني وأحسن صورتي.. لماذا يهلكني بعد ذلك ويفنيني؟!

وليس الخيام وحده مَن يرهب الموت.. فقد شاركه ويشاركه الشعور الملايين والملايين من البشر على مر العصور.. وكما قال أحد المفكرين المعاصرين: "**إن ثمة شيئين لا يمكن أن يحدق فيهما المرء: الشمس والموت!**".

بيد أن إمامنا أبا حامد الغزالي (450 - 505هـ)، يقف على الشاطئ الآخر، فالموت عنده مرحلة تتلوها حياة أضخم من حياتنا، وأعمق إحساسًا، وأرحب آفاقًا.

قيل إن الغزالي لما أحس بدنو أجله قال لبعض أصحابه: "ائتني بثوبٍ جديد".

فقال له: "ما تريد به؟".

قال الإمام: "سألقى به الملك!".

ثم طلع إلى بيته، وأبطأ على أصحابه.. فذهبوا إليه يستطلعون نبأه، فإذا هو ميت، وإذا عند رأسه ورقة كتب فيها هذه الأبيات:

قُلْ لِإِخْوَانٍ رَأَوْنِي مَيِّتًا فَرَثُونِي وَبَكَوْا لِي حُزْنا
أَتَظُنُّونِي بِأَنِّي مَيِّتُكُمْ لَيْسَ هَذَا الْمَيِّتُ وَاللَّهِ أَنَا.
أَنَا فِي الصُّوَرِ وَهَذَا جَسَدِي كَانَ بَيْتِي وَقَمِيصِي زَمَنا
أَنَا عُصْفُورٌ وَهَذَا قَفَصِي طِرْتُ عَنْهُ وَبَقِيَ مُرْتَهِنا

ويُطمئن إخوانه من رهبة المَوت فيقول:

لَا تَظُنُّوا الْمَوْتَ مَوْتًا إِنَّهُ كَحَيَاة، وَهِيَ غَايَاتُ الْمُنَى
لَا تُرِعْكُمْ هَجْمَةُ الْمَوْتِ فَمَا هِيَ إِلَّا نَقْلَةٌ مِنْ هَاهُنَا.

تلك النظرة للموت، هي التي جعلت الصحابة يقبلون عليه، حتى قال أبو ذر الغفاري لما أحس بملك الموت يقترب منه: **"مرحبًا بالموت، حبيب جاء على شوق"**.

حبيب ينقله إلى الحبيب جل في علاه.

الصالحون اتخذوا زادًا لمواجهة أعباء الدنيا، فقد أيقنوا أنه بعد أن تطوي الحياة سجلها، يعقبها دار للحساب، وأدركوا أن حياتنا رواية طويلة، فصولها القصيرة على الدنيا، وباقي فصولها في الآخرة.

ولكي نصل إلى فصول الجزء الثاني لا بد من المرور أولًا على الجزء الأول، وإذ لم يكن نقيًّا، صافيًا، تلبدت غيوم باقي الرواية، وربما إلى الأبد الآبدين.

وأنقياء القلوب يحرصون على التأكد من سلامة صدورهم، والمحافظة على سمائهم صافية دائماً بـ**"ورد المحاسبة اليومي"**، وحينما يضعون رؤوسهم على الوسائد استعدادًا للنوم، طاف بخيالهم شريط يومهم، ما فعلوا وما قدموا من أعمال، فإذا وجدوا غيومًا ولو قليلة أخذهم الاستغفار، وعزموا على تقديم الاعتذار لمن وقع عليهم الظلم، وإذا كان ناصعًا صافيًا انساب النوم إلى عيونهم، وأخذتهم الراحة والطمأنينة، ليستيقظوا نشطاء سعداء بيوم جديد يتقربون فيه إلى الله أكثر.

إضاءة جانبية:

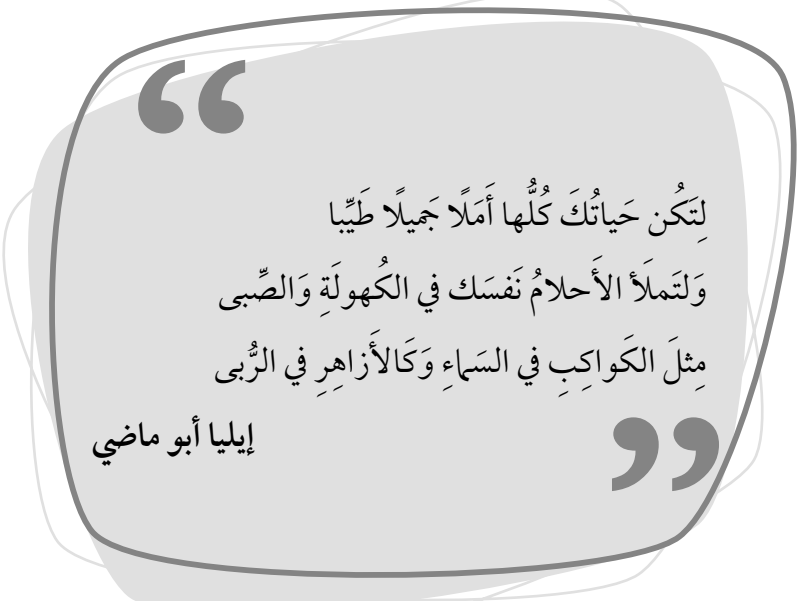

أجمل الأيام لم تأتِ بعد

في إهداء كتابه "عصر سلاطين المماليك" كتب المؤرخ البديع الدكتور قاسم عبده قاسم (1942 - 2021) جملة في غاية الروعة والبلاغة: "إلى زمن مضى جميلاً، وإلى زمن أجمل يأتي".

وهو إهداء مدهش بعدما تعوَّدنا أن ننظر إلى تاريخنا على أنه عرض تلفزيوني بالأبيض والأسود.

قد يحدِّثنا عن زمان مضى، يسرد لنا المؤرخ صفحات سودًا طوالًا حتى نردد معه: "لتذهب أيامه إلى الجحيم بلا عودة".

أو يحدِّثنا عن زمان حوى الأمجاد والبطولات، فنقف نبكي على أطلاله، ونتحسر على الأيام التي ذهبت ولن تعود!

لكننا هنا أمام مؤرخ قدير يحدِّثنا عن دولة سادت العصور الوسطى، وقهرت أقوى قوتين في زمانها، أزالت جذور الفرنجة

من الشام نهائيًا بعد حروب دامت 002 عام، وأوقفت الزحف المغولي، ثم يخبرنا بأن زمنًا أجمل يأتي.

والدكتور قاسم في تفاؤله يذكِّرنا بالشاعر التركي ناظم حكمت حينما كتب من سجنه إلى رفيقة عمره:

"أجمل الأنهار لم نرَها بعد.. وأجمل الكتب لم نقرأها بعد.. وأجمل أيام حياتنا لم تأتِ بعد".

ولم تكن الظروف حوله تنبئ باحتمال تحقيق ما يصبو إليه، فهو في السجن يعاني الظلم والاضطهاد، فأوقد بتلك الكلمات شموعًا تضيء له الطريق، يقاوم بها اليأس من اجتماع الشمل واستعادة أيام السعادة والحرية. وحقق الزمن رجاءه، وخرج من سجنه، وأنشد مع زوجته أنشودة السعادة.

تجارب الحياة كتبت حكمتها الخالدة منذ زمن طويل أنه لا بد من الصبر على النجاح، ودون التطلع إلى الغد بقلب يرجو رحمة ربه والأمل في غد أجمل لما استطاع الإنسان احتمال الحياة والتقدم خطوات نحو هدفه.. ولو تمكن الإحباط من الإنسان، ونسج حوله خيوطه لحاد عن طريق النجاح، واختار اجترار الأحزان وحسرة الفرجة على الآخرين وهم يرفعون

كأس التفـوق.

الألمـاني "ألـبرت شـوايتزر 1875) "Albert Schweitzer 1965-) قـرأ يومًـا مقـالًا في الصحـف حـول الأمـراض المنتـشرة في أفريقيـا والمـرضى الذيـن يحتاجـون إلى دواء.. فقـرر أن يـدرس الطـب، وتـرك بـلاده برفقـة زوجتـه في 1913 لينشـئ مشـفى صغـيرًا في قريـة "لامبارينـي" بالجابـون.

ربـما اعتبرتـه أسرتـه وأصدقـاؤه فاشـلاً، لأنـه اختـار أن يقـضي بقيـة عمـره في قريـة أفريقيـة ليـس بهـا مـاء نظيـف ولا كهربـاء ولا أيٌّ مـن متـع وتـرف المدنيـة الحديثـة، لكنـه كان يشـعر بالسـعادة وهـو يـرى آلاف المـرضى يقطعـون مئـات الكيلومـترات لتلقِّـي العـلاج في مستشـفاه المتواضـع.

ومضـت السـنين عـلى "شـوايتزر" يقـاوم الملاريـا والجـذام، ولا أحـد يلتفـت لمـا يفعلـه.. وفـوق التجاهـل قاسـى الصعـاب والشـدائد.. فعندمـا قامـت الحـرب العالميـة الأولى وضعتـه القـوات الفرنسـية تحـت المراقبـة ثـم زجـت بـه في السـجن.

وعندمـا انتهـت الحـرب.. أخـذ "شـوايتزر" يسـتثمر موهبتـه في عـزف الأورج لجمـع التبرعـات لمستشـفاه ليعـود إليـه عـام 1924.

وبينـما كان الطبيـب الألمـاني يعمـل في صمـت بأفريقيـا لسـنوات

طوال، فلا حديث لوسائل الإعلام عنه.. ولا أضواء تسلط عليه.. أصبح فجأة محط أنظار الأوساط الطبية، الصحفيون يسعون إليه لمعرفه أخباره، والتبرعات تنهال عليه لينمو مستشفاه أكبر فأكبر.

وفي عام 1952 تهديه الحياة هدية لم تكن تخطر له على بال، فقد حاز جائزةَ نوبل لدوره في علاج الفقراء، ويعيش شوايتزر سعيدًا حتى يرحل عن الدنيا عن 83 عامًا في عام 1965.

وهكذا النجاح قد يتأخر، والتقدير قد تتعثر خطواته في طريقه إلينا، لكن الإنسان يحتاج من وقت إلى آخر إلى إشعال شمعة من شموع الأمل إذا ذوت شمعته الأولى، وألا يستسلم للإحباط مهما كانت الصعوبات والعثرات، وهذه سُنة الناجحين، قابلوا في حياتهم عقبات لم يقفوا أمامها يبكون حظهم، وإنما بذلوا الجهد حتى صعدوا الجبل، ثم نزلوا منه وساروا في طريق نجاحهم سعداء بما حققوا.

الروائي الشهير برنارد شو (1856 - 1950) قضى الجزء الأول من حياته حتى تجاوز الثلاثين من عمره، ولا يكاد يكسب شيئًا على الإطلاق.. يحدِّثنا عن تلك الفترة صديقه السياسي الشهير ونستون تشرشل (1874 - 1965):

"عاش شو في لندن عدة سنوات عجاف، ذاق خلالها مرارة

الفقـر، والفشـل الذريـع. كان يلبـس قبعـة اضطـر إلى أن يقلبهـا، فيجعـل داخلهـا خارجهـا لعـدم قدرتـه عـلى شراء قبعـة جديـدة، كـما كان يلبـس ثوبًـا أسـود أوشـك أن يتحـول إلى ثـوب أخـضر مغـبر مـن كثـرة الاسـتعمال".

وظـل شـو على تلـك الحال سـنوات طـوالًا حتـى طرقت الشـهرة أبوابـه، وصـار مـن أغنـى الأدبـاء الذيـن عرفهـم القـرن العـشرون.

فالطـرق يـا صديقـي إن كانـت اليـوم مسـدودة، فلـن تبقـى عصيـة عـلى الفتـح أبـد الدهـر.

وهـذا مـا كان الحبيـب ﷺ يفعلـه في غـزوة الأحـزاب، حينـما أطبقـت قـوى الكفـر عـلى المدينـة كالبحـر الهائـج تريـد أن تقتلـع شـجرة الإيـمان مـن جذورهـا، فـكان ﷺ يبـشر أصحابـه بالنـصر، وأن رايـات المؤمنـين سـترفرف يومًـا عـلى فـارس والشـام، فاطمأنت قلـوب المسـلمين في صدورهـا بعدمـا بلغت الحناجـر.. بينـما المنافقون في غيِّهـم يهـزؤون. وجـاءت الأيـام بصـدق مـا وعـد الله عبـاده.

اليـوم الـذي نتـذوق فيـه ثمـرة كفاحنـا آتٍ لا ريـب، سـواء جـاء في موعـده أم متأخـرًا، في الدنيـا أم في الآخـرة، علينـا فقـط أن نسـعى جاهديـن للوصـول إلى أهدافنـا بالطـرق المشروعـة، والأعـمال الصالحـة التـي تـرضي ربنـا، ولا نـؤذي غيرنـا في صعودنـا إلى النجـاح.

وإذا كان الإنصاف قد تأخر في موعده عليك.. وتكاثفت حولك قِطع الليل المظلم فردِّد ما قاله الشاعر ناظم حكمت: "أجمل الأنهار لم نرَها بعد.. وأجمل الكتب لم نقرأها بعد.. وأجمل أيام حياتنا لم تأتِ بعد".

إضاءة جانبية:

مع الشراع لا الرياح

هل يستطيع امرؤ مهما بلغ من صفاء النفس ورقة الخلق أن يحيا في هذه الحياة دون خصوم أو أعداء يضيقون به ويكيدون له!

هذا لا يحدث!

صحيح قد يأتي إلى الدنيا أناس لا يكسبون عداوة، ولا يعرف عنوانهم خصوم، لكنهم أناس لا يشعر بهم أحد عند مجيئهم إلى الدنيا، وخروجهم منها، لا يتركون وراءهم أثرًا، لأنهم لم يضيفوا إلى الحياة شيئًا.. وهؤلاء يعيشون على هامش الحياة.

أما أصحاب المواهب الكبيرة، والرسالات العظيمة، فلابد لهم من أعداء يتربصون بهم.. إن وجدوا خيرًا أخفوه.. على

استعداد لإدارة المعركة بقانون غير الأخلاق والشرف.. تحركهم نفوس تنطوي على ضغينة لأهل المجد.. الذي خابوا دون أن يصلوا إليه.. فأبوا على غيرهم أن يكونوا على قمته.

وحتى الأنبياء كان لهم أعداء...

الحبيب محمد ﷺ لقي العنت من كبار قادة قريش، ليس إنكارًا لرسالته وصدقه، وإنما تكبرًا أن ينال دونهم شرف تلقِّي الوحي من السماء.. لهذا قال القرآن على لسانهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخرُف:31]، ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص:8].

والأعداء ليسوا بالمستوى الضعيف، بل يملكون وسائل المكر والاحتيال على أصحاب المواهب والرسالات.. وبقدر عظم المرء يكون أعداؤه.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:112]

أعداء يملكون القول المزخرف، والبيان المخادع، والصوت العالي.

والواجب علينا ألا ننزعج من تلك الخصومات، ولا نعتبر الأعداء عقبة كؤودًا في طريق نجاحنا..

بل ربما على العكس، كان وجود الخصم والعدو يُسدي

إلينا خدمات جليلة، وأفضالًا كثيرة دون أن يدري هو الأثر "الإيجابي" لعداوته.

فالخصم أو العدو يدفعك بصلف ادعاءاته الواهية إلى بذل مزيد من الجهد والعرق من أجل الاستمرار في طريقك للنجاح، ويبين لك مزالق الخطأ في سبيلك، ويشحنك بمزيد من الاقتناع بفكرتك.

لا تفكر في أعدائك إلا حينما يعترضون طريقك، فهم يحاولون دائماً أن ينزلوك من أعلى قمة المجد والشرف التي تقف عليها لتهبط إلى درك هابط، لتنازلهم، وانظر إليهم بعين الصقر الذي يترفع عن الدنايا.. ولا يرضى إلا بالقمة منزلًا وموطنًا.

وواصِل سيرك إلى غايتك المنشودة.

أما إذا استمعنا إلى أعدائنا، وتركنا سمومهم تشق طريقًا إلى أرواحنا لنجحوا في تثبيط هممنا، وكسروا مجادفنا في بحر الحياة، ووقفنا عند ما يريدون، لا نتقدم إلى نجاح وترقٍّ.

فلو استمع توماس إديسون (1847 - 1931) إلى مَن سخروا منه لما سُجل اسمه في أعظم علماء القرن العشرين، فحينما أخبر مكتب براءات الاختراع في واشنطن أنه يعمل على اختراع مصباح كهربائي يبدد ظلام الليل، نصحه المكتب بعدم

الاستمرار في مشروع كهذا، بل كتب في صراحة: "**إنها فكرة حمقاء تخالف إرادة الله!**"، فالليل ينيره القمر الساهر، والنهار تضيئه الشمس، فلماذا يتدخل بشر في ملكوت السماء!

ولو استمع الأخوان رايت إلى الاتهام الذي نالهما بأنهما يريدان أن يخرقا قوانين الرب الذي خلق الطير ليطير في أجواء السماء والسمك ليغوص في البحار والإنسان ليدب على الأرض، لما دخلا التاريخ بأنهما مَن فتح أبواب السماء أمام الإنسان.

الإنسان النجاح هو مَن يسير مع الشراع لا مع الرياح، يوجه شراعه إلى الناحية التي يريدها لا إلى التي تريدها الرياح ومجاري المياه.

إضاءة جانبية:

> الناجح الحقيقي هو ذلك الذي يصرخ منذ ميلاده.. جئت إلى العالم لأختلف معه.. ولا يكف عن رفع يده في براءة الأطفال ليحطم بها كل ظلم وكل باطل.
>
> مصطفى محمود

على هامش كتاب الحياة

حياة كلٍّ منا على الأرض تُدوَّن في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، لا يترك مثقال ذرة من خير إلا وأحصاها، ولا مثقال ذرة من شر إلا وسجلها.

ويوم القيامة ستكون مفاجأة للغافلين، ليقولوا في حسرة: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ [الكهف:49].

لكن ماذا لو كتبنا بأيدينا كتابنا، نسجل فيه كل ما نفعله، وعلى هوامشه ندوِّن ملاحظات نقيِّم بها سلوكنا وتصرفاتنا تجاه أصدقائنا والبشر عمومًا؟!

صحيح أن هذا الأمر ليس بجديد، فهناك أناس تحرص

على كتابة مذاكراتها، يومًا بيوم، كما فعل الزعيم سعد زغلول.

لكنني هاهنا أريد الاعتناء بهوامش الصفحات، ليس تسجيلًا لما نمر به، إنما تحليلاً، فالعين الناقدة منارة تراقب سفينة حياتنا، وتنبهنا لمواقع الخطر قبل أن تصطدم بصخور تفتتها إلى حطام، أو تغرق في عواصف المشكلات والأزمات.

وبالتالي نستطيع أن نتنبه للخطر الذي يقترب منا، وهو بعد في مراحله الأولى، وندق أجراس الإنذار تحذرنا من الشلالات التي تعترض نهر حياتنا، فنسرع لأخذ العُدة لتجاوزها، أو نسقط بعد أن استطعنا أن ننجو بأقل الخسائر.

وهوامش كتاب الحياة تضمن لنا أيضًا العيش بسلام مع أنفسنا، ومع الآخرين. فالإنسان قد يحصل على الثروة والنجاح، لكن الحصول على السلام الداخلي عسير إلى أبعد الحدود، فهو يحتاج إلى عناء كبير، وملاحظة مستمرة.

والذين فقدوا السلام الداخلي افتقروا إلى شيئين مهمين: الشعور بالخطر قبل وقوعه، والصدق مع النفس، وهما أمران يمكن تحقيقهما إذا اعتنينا بمتابعة ما نخطه من ملاحظات على هوامش الكتاب!

الكاتب التركي عزيز نيسين (1915 - 1995) في معنى

استكشاف الخطر المبكر كتب قصة مدهشة بعنوان: "آه منا نحن معشر الحمير!".

فيها كانت الحمير تتحدث بلغة خاصة بها، لغة جميلة وغنية، ولها وقع موسيقي جذاب، أما النهيق فقد بدأ فيما بعد.

كيف بدأ؟!

في غابر الزمان كان هناك حمار عجوز يلهو وحده في الغابة، يغني بلغة الحمير، ويأكل الأعشاب الطرية، وبعد فترة استطاع أنفه أن يشم رائحة ذئب يقترب من بعيد، رفع الحمار رأسه وأخذ يعب الهواء وقال لنفسه: "لا توجد رائحة ذئب.. ليست هذه رائحة ذئب".

وأخذ يلهو من جديد، ولكن رائحة الذئب تزداد قربًا.. فأخذ الحمار يخدع نفسه: "لا.. ليست رائحة ذئب.. وماذا سوف يفعل الذئب.. إن شاء الله ليس ذئبًا".

ومع اقتراب الخطر أكثر أخذ قلب الحمار يخفق.. وعندما حدَّق عاليًا صوب الجبل، رأى ذئبًا مندفعًا مخلفًا وراءه سحبًا من الغبار.. "آه.. آه إنه ذئب.. قد يكون خيِّل إليَّ أن ما أراه ذئب أو كنت أحلم بذلك".

وبعد فترة رأى الذئب قادمًا من بين الأشجار، مرة ثانية حاول أن يطمئن نفسه:

- أتمنى أن لا يكون ما أراه ذئبًا، إن شاء الله لن يكون كذلك، ألم يجد هذا اللعين مكانًا آخر غير هذا المكان؟ لقد أصاب الوهن عينيَّ، لذلك أخذت أرى هذا الشيء ذئبًا قادمًا.

تقلصت المسافة بينهما حتى أصبحت 05 مترًا. أيضًا حاول الحمار طمأنة نفسه:

- إن شاء الله لن يكون ما أراه ذئبًا، قد يكون حملاً أو فيلاً أو أي شيء آخر.. أعرف تمامًا أن ما أراه ليس ذئبًا، ولكن لمَ لا أبتعد قليلاً.

أخذ الحمار العجوز يبتعد قليلاً، ناظرًا إلى الوراء، أما الذئب فقد اقترب منه فاغرًا فاه، ومع ذلك أخذ الحمار يخدع نفسه، ويقتل الشعور بالخطر تحت ستار من الخداع المستمر:

- كم أنا أحمق! فقد صرت أظن القطَّ ذئبًا وأركض هكذا كالمعتوه، لا ليس ذئبًا!

اقترب الذئب وعيناه تشعان وتطلقان سهامًا نارية، والحمار يقول:

- لا.. لا يمكن أن يكون ذئبًا!

وأحس الحمار بأنف الذئب يلامس ظهره المبلل.. حاول أن يركض لكنه لم يستطع بعد أن خارت قواه، ولكي لا يرى الذئب أغلق عينيه وقال:

- أعرف تمامًا أنك لست ذئبًا.. لا تدغدغ مؤخرتي، إني لا أحب مزاح اليد.

وغرس الذئب أنيابه في ظهر الحمار، ونهش منه قطعة كبيرة، ومن حلاوة الروح رُبِط لسان الحمار ونسي لغته: "آه.. آه إنه ذئب.. آه".

تابع الذئب النهش من لحم الحمار الهرم ذي اللسان المربوط، حيث لا يصدر منه سوى: "آه.. هو.. هاق... هاق".

منذ ذاك اليوم نسيت الحمير لغتها، ولم تستطِع التعبير عن رغباتها وأفكارها إلا بالنهيق.

الحياة من بدايتها إلى نهايتها معركة متصلة، ولن تتحقق النجاة فيها لأحد إلا إذا نمَّى في داخله الشعور الخطر، ليس معنى ذلك أن يعيش مذعورًا طوال الوقت، فالشعور بالخطر يُمكِّن الإنسان من التنبؤ بالتغييرات التي تحدث في سمائه، والغيوم التي تقترب من منزله، فيسرع في إغلاق النوافذ قبل أن تهب العواصف.

والـذي يتجاهـل إشـارات الخطـر يـترك ذئـب المشـكلات ينشـب مخالبـه في روحـه، ويقـضي عـلى السـلام الـذي يحلـم بـه، ويقـوده إلى المحـن والعـذاب.

إضاءة جانبية:

تم بفضل الله

أما وقد صلت سفينتك إلى الشاطئ الآخر،

ووضعت رحالك.. وهيَّأت نفسك للراحة،

فأطمع منك إذا كانت لك ملاحظة أو أحببت أن تشاركني في رأي،

أن تراسلني على البريد الإلكتروني:

moc.liamtoh@demahdeyas

فالمؤمن ضعيفٌ بنفسه.. قويٌّ بإخوانه.

الفهرس

مقدمة المقدمة 7
الإنسان الذي علَّم الإنسانية 13
أضِف إلى رصيدك مزيدًا من المحبين 19
هل تعثرت؟ حاوِل وابدأ من جديد 25
اهزم خصمك بأخلاقك 31
إذا أصابتك مصيبة.. تفاءل وابتسِم! 37
ارمِ أحزانك في البحر 43
بكلمة بسيطة.. أَسعِد نفسك ومَن حولك 49
النجاح والانتصار يحتاجان إلى الصبر 55
كيف تكسب صديقًا؟ 61
اجعل جنتك في قلبك 67
لا تدع التوافه تغلبك 73
مهما كان عمله متواضعًا.. فلا تسخر منه أبدًا 79
في أي عصر تحب أن تعيش؟ 85

لا تدعه يأخذ من روحك 91
استمِتع بكل لحظة في حياتك 97
ما نريده وما يريده الله لنا 103
بل هم الكرار إن شاء الله 109
يا دنيا غُرِّي غيري.. هل أنت من الغير؟ 115
الوصفة المثالية للتعاسة! 121
ماذا لو كان اليوم آخر عهدك بالدنيا؟ 127
أجمل الأيام لم تأتِ بعد..... 133
مع الشراع لا الرياح..... 139
على هامش كتاب الحياة 143